البعث الأسبوعية

مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن دار البعث للصحافة والطباعة والنشر

العدد الأول - الخميس ١٣ - آب - ٢٠٢٠



الرئيس الأسد: انتخاب مجلس الشعب محطة تاريخيـــة من محطات الحرب كتب شـــعبنا تفاصيلها بأقلامـــه الناخبـــة وإرادته وتحديه

الرئيس الأسد أمام أعضاء مجلس الشعب:

هزيمة صهاينة الداخل هي الطريـ



أكد السيد الرئيس بشار الأسد أن انتخابات مجلس الشعب تشكّل محطة تاريخية من محطات الحرب كتب شعبنا تفاصيلها بأقلامه الناخبة وإرادته وتحديه، وقال، في كلمة له أمس الأربعاء أمام أعضاء مجلس الشعب للدور التشريعي الثالث، إن الانتخابات التي خضتموها مؤخراً مختلفة، فبالرغم من وباء كورونا وتأثيره في إحجام البعض عن المشاركة كان هناك تعدّد للوائح ومنافسة حقيقية، وهذه المنافسة حراك وطني، وأي حراك وطني حراك إيجابي لأنه يعبر عن الالتزام الوطني.

وفيما يلي النص الكامل للكلمة:

كان من المفترض أن تعقد هذه الجلسة تحت قبة المجلس كما جرت العادة لكن ضرورة التباعد المكاني فرضت علينا أن نختار مكاناً آخر لعقد هذه الجلسة، فأرحب بكم في قصر الشعب، وأبارك لكم الفوز وأتمنى لكم التوفيق في مهامكم.

السيد رئيس مجلس الشعب.. السيدات والسادة أعضاء المجلس:

عشر سنوات من الحرب الشرسة المتواصلة، دماء غزيرة ومحطات كثيرة يربط بين كل عناصرها وطن وشعب ودستور، فمحاولات إسقاط الوطن وإلغاء السيادة وتفتيت الشعب وضرب المؤسسات يحققها دستور، ويمنعها آخر، ولأنه منعها وأفشلها في سورية فقد شنّت عليه الحرب، ولأنه يرمز للوطن والشعب والسيادة والكرامة والوجود فقد سالت من أجله ودفاعاً عنه الدماء، وتصميم الشعب على الالتزام بالاستحقاقات الدستورية توقيتا ومشاركة هو أيضاً دفاع عن الدستور وما يرمز إليه، وهو وفاء لتلك الدماء الزكية والأرواح الطاهرة، وانتخاب مجلسكم الكريم يأتي في السياق نفسه فهو يشكّل محطة تاريخية من محطات الحرب كتب شعبنا تفاصيله بأقلامه الناخبة، بإرادته، بتحديه، هذا يعني أن مسؤوليتكم في هذه الظروف هي أيضاً مسؤولية تاريخية تحملون فيها المهام الجسام، تدافعون عن مصالح الشعب وتحققون طموحاته.

لا شك أن الانتخابات التي خضتموها مؤخراً هي انتخابات مختلفة كثيراً عن كل ما سبقها، والدليل، الضجيج الذي أثير حولها، خلالها وبعدها، وما زلنا نسمع الأصداء حتى اليوم، فبالرغم من وباء كورونا وتأثيره في إحجام البعض عن المشاركة في الانتخابات وتقييد المرشحين في نشاطهم الانتخابي خلال الحملة، مع ذلك كان هناك تعدّد للوائح، وكانت هناك منافسة حقيقية لم نشهدها سابقاً وهذه المنافسة هي حراك وطني، وأي حراك وطني هو حراك إيجابي لأنه يعبر عن الالتزام الوطني، ولكن عندما نقول: إن هذا الحراك كان حراكاً إيجابياً فهذا لا يعني أنه يخلو من السلبيات، وقد تكون هذه السلبيات كثيرة وقد تكون ضارة، وسمعنا الكثير من الكلام والانتقاد حول المعايير وحول التدخلات وحول المال السياسي، وكثير من الأشياء الأخرى التي سمعناها معاً، وقد يكون جزء من هذه الاشياء هو أشياء صحيحة، ولو بجزء منها، فإذا كان هناك سلبيات وكان هناك ضجيج، فأين هي الإيجابية في هذا الحراك، الإيجابية الأهم هي أن هذا النوع من التجارب يجعلنا نرى مشاكلنا وسلبياتنا على الواقع وبشكل حقيقي وصادق.

ومن صفات هذه المنطقة ربما العربية والشرق أوسطية أنها تعيش في كثير من الأحيان في حالة إنكار، انكار للمشاكل وإهمال للمشاكل، وبالتالي تبقيها من دون معالجة، رأينا بشكل واضح الأمراض الاجتماعية التي يتحدّث عنها الكل الآن، رأينا بشكل واضح الخلل ربما في القوانين وربما بشكل أكبر في الإجراءات المتعلقة بالانتخابات، فإذاً الإيجابي هو الدرس إن استخلصنا هذا الدرس عبر الحوار، يجب أن نبدأ الحوار بعد الانتخابات، لا أن يتوقّف الحوار حول ما طرح في الشارع بنهايتها، نبدأ الحوار من أجل أن نصل إلى ضوابط، هذه الضوابط قد تكون قوانين وتشريعات، قد تكون قرارات، وقد تكون إجراءات إدارية مختلفة، هذه الضوابط هي التي تحدّ من التصرفات الخاطئة بالرغم من أن فكرة التصرّف الخاطئ هي تقييم ذاتي، ما يراه شخص خاطئاً يراه شخص آخر صحيحا، مع ذلك من خلال الحوار نتفق على أشياء تعبّر عن إجماع وتتحوّل إلى ضوابط قانونية، هذه الضوابط هي التي تمنع الأمراض الاجتماعية وهي التي تسمح بالمنافسة الانتخابية مع الحفاظ على تكافؤ الفرص، لذلك هناك من يقول اليوم: إن ما حصل من منافسة خطوة باتجاه الأمام، وهذا صحيح، وهناك من سيقول: إن السلبيات التي حصلت هي خطوة إلى الخلف، وأيضاً هذا الكلام صحيح، الحقيقة من يحدد خطوة إلى الأمام أو خطوة إلى الوراء هو الاستفادة من هذا الدرس والوصول إلى الضوابط، لذلك الكثير من النقد والكثير من الغضب الذي لمسناه وسمعناه ورأيناه هو شيء إيجابي، ولكن عندما نحوّله إلى حلول تطوّر هذه التجربة الوطنية.

السيدات والسادة.. إذا كانت الحرب تفرض نفسها على جدول أعمالنا فذلك لا يعني أن تمنعنا من القيام بواجباتنا، وإذا كان الدمار والإرهاب يفرضان العودة إلى الوراء بشكل عام فهذا لا يمنعنا من التقدّم إلى الأمام في بعض القطاعات لنكون في وضع أفضل مما كنا عليه قبل الحرب، وهذا ليس كلاماً إنشائياً، هذا كلام واقعي وممكن جداً، صحيح أن الحروب تفرض استهلاك كل الطاقات لصالحها، لكن قوة الشعوب بالتأقلم مع الظروف وتطويعها لصالحها لا بالاستسلام لها، وبمقدار ما تدفعنا الحرب والحصار إلى الوراء بمقدار ما علينا أن نتقدّم إلى الأمام ونحن قادرون على ذلك ولو ببطء، وعلينا أن نضع في الاعتبار أن الفوز في الحرب لا يقتصر على خوضها عسكرياً واقتصادياً ومعنوياً، بل أيضاً تخطيطياً وتنظيمياً وإدارياً، والخطط الناجحة تنطلق من الرؤى الاستراتيجية السلمية التي لا يمكن الوصول إليها دون حوار بناء داخل المؤسسات وخارجها، ولمجلسكم دور محوري في هذا الحوار.

المجلس هو الجسر الأهم بين المواطن وبين السلطة التنفيذية، هذه بديهيات وبالتالي نجاح المجلس ونجاح أعضاء المجلس مرتبط بالعلاقة الوثيقة بين الجهتين، العلاقة مع المواطن تهدف أولاً إلى فهم المشكلات، المعاناة، التحديات والهواجس والطموحات التي يفكر بها المواطن، وبالوقت نفسه أن نشرح لهذا المواطن ما هي السياسات وما هي القوانين وما هي مبررات ما نقوم به، سواء في السلطة التشريعية أو في السلطة التنفيذية، أما العلاقة مع السلطة التنفيذية فهي دستورياً تتلخص بالرقابة والمحاسبة، لكن الرقابة تبقى قاصرة إن لم ترتبط بفهم كل تفاصيل الخطط التي تطرحها السلطة التنفيذية، وهذا الفهم مرتبط بالحوار بمعنى، ربما يأتي أي مسؤول ويطرح أمامنا خطة رائعة، خطة مثالية، نذهب إلى التطبيق بعد عدة أشهر أو بعد عدة سنوات نرى أن النتائج متواضعة أو أن النتائج ربما تكون قريبة من الصفر، لماذا لم نر هذه الأمور منذ البداية، لأن هناك أسئلة كثيرة تسأل، لم نقم بها وربما لم نقم بالحوار من الأساس، هل الأدوات متوافرة لهذه الخطط، هل الزمن واقعي لهذه الخطط، هل هناك وزارات أو مؤسسات أخرى تؤثّر في تنفيذ هذه الخطط، وبالتالي عندما تقصر مؤسسة واحدة تؤدي إلى تقصير كل المؤسسات المعنية، هل هناك ظروف خارجية تؤثّر في هذه الخطط، كما هو الوضع اليوم، كل هذه الأشياء وأسئلة كثيرة أخرى هي التي تساعدنا على توقّع مقدار نجاح هذه الخطة أو عدم نجاحها، والأهم من ذلك تساعدنا على المتابعة الموضوعية، ولاحقاً عندما يحصل تقصير نستطيع أن نحدّد بدقة سبب التقصير ومن هو الجانب أو الشخص أو المسؤول المقصر.

عملياً بهذه الطريقة نتحوّل من انتظار النتائج إلى استباق النتائج، وبالتالي نختصر الزمن، نختصر الزمن على الوطن وعلى المواطن ويتحوّل المجلس من مجرد رقيب ومحاسب إلى

ـــق لهزيمـــة صهاينـــة الخـــارج

شريك في عملية التنمية. أما الجانب التنظيمي والإداري فهو يستند إلى التشريعات السليمة، والتشريعات هي في صلب عمل مجلسكم، يستند إلى التشريعات السليمة التي تنظم العلاقة بين مؤسسات الدولة وبين المؤسسات والمواطنين، وهي التي تخلق تكافؤ الفرص والعدالة وبالتالي تعزّز الانتماء للوطن، أي خلل في التشريعات، ومع كل أسف الخلل واسع جداً، سوف يؤدي إلى خلل في عمل أي مسؤول مهما كان جاداً ومخلصاً، فإذا افترضنا أن هذا المسؤول مخلص وشريف ولا توجد نوايا للفساد، فكل مسؤول يأخذ القرار بطريقته، وبالتالي حالة واحدة قد تنتج قرارات متعدّدة، العشرات من القرارات، وهذا بأحسن الأحوال يخلق الفوضى، أما إذا كانت هناك نوايا للفساد فستكون النتيجة هي انتشار الفساد.

هذا الخلل بالتشريعات يضر بالمؤسسات ويهز ثقة المواطن بها ويضعف المعنويات ويزعزع الاستقرار، وكلاهما أي المعنويات والاستقرار هما جوهر العدوان على سورية، وهما بالوقت نفسه جوهر الدفاع عنها، وخاصة أن هذه الحرب غير التقليدية من الناحية العسكرية، عبر جلب مئات الآلاف من الإرهابيين من مناطق أخرى من العالم أيضاً، اعتمدت على الجانب النفسي بهدف تحطيم المعنويات وتحقيق الهزيمة الذاتية، ولاحقاً الاستسلام المجاني.

لا أحد يقبل بالطروحات الانهزامية

ولا شك أن شعبنا قد أظهر خلال سنوات الحرب وعياً غير عادي في مواجهة آلات إعلامية جبارة تمكن من إسقاطها بالضربة القاضية في أكثر من محطة، لكن تلك الآلات لن تيأس من تكرار محاولاتها، وكسب جولة أو جولات لا يجوز أن يدفعنا للشعور بكسب الحرب، وبالتالي الاطمئنان والسقوط في فخ المباغتة من قبل الأعداء عندما تسنح لهم الفرصة، لذلك وبالرغم من وعي مواطنينا الكبير كنا نرى حالات متكرّرة من تشوش الرؤية واليأس والانهزامية لدى البعض في مجتمعنا، بالطبع هؤلاء لا يشكّلون الأكثرية لكنهم مؤثّرون من خلال تعميم مزاجهم السلبي على الآخرين على مدار الساعة، في وقت نحتاج فيه لكل ذرة طاقة إيجابية في المواجهة مع أعدائنا، نحتاج الأمل بدل اليأس، نحتاج القوة بدلاً من الضعف، والبعض من هؤلاء يسوّق تشاؤمه وسوداويته قسراً لدرجة أن جملة تدعو للتفاؤل أو التحمّل أو الثبات أو الصمود تصبح بالنسبة لهم معيبة، ومعيبة ومستنكرة وقائلها منفصل عن الواقع.

وكثيراً ما أتساءل، لو ذهب هؤلاء الأشخاص إلى عزاء لشخص فقد عزيزاً أو أكثر، ما الذي يقولون في هذا العزاء لذلك الشخص؟ هل يقولون له اصبر؟ هل يقولون له استعن بالصبر إن الله مع الصابرين؟ أم يقولون له لا أمل لقد ذهبوا ولن يعودوا ولا سبيل أمامك سوى الانتحار؟. لا أحد يجادل في أن الظرف الحالي هو ظرف محبط في سورية، في المنطقة، في العالم ككل، ولكن هناك فرق بين أن يكون هذا الإحباط هو نتيجة للظروف الموضوعية التي نعيشها ونلمسها وبالتالي يكون الإحباط نسبياً، وتبقى دائماً هناك فسحة من الأمل، فسحة من الأمل لتغيّر الظروف، وبين أن يكون هذا الإحباط هو نتيجة لتعميم المحبطين وبالتالي تجذيره في النفوس وتحويله إلى حالة انهزامية، ولا أعتقد أن هناك شخصاً يملك الحد الأدنى من الوطنية يقبل بالطروحات الانهزامية اليوم بعد كل تلك التضحيات، فأجساد الجرحى ودماء الشهداء ليست بالمجان، لها ثمن، ثمنها الصمود ومن ثم الانتصار. وإذا كان البعض يبرر انهزاميته بالرغبة بالعيش، فالكل يريد أن يعيش، وفي مقدّمتهم المقاتلون، الشهداء، الجرحى الذين لم يذهبوا لمواجهة الموت حباً بالموت بل حباً بالحياة، حباً بالشعب، حباً بالوطن، الرغبة بالعيش غريزة إنسانية، لكن من يرغب بالعيش عليه أن يدفع عن نفسه الموت، فالإنسان لن يعيش لأنه فقط راغب بالعيش بل لأنه قادر على العيش، لذلك وعبر العصور أتت الأوبئة وقضت على الملايين وبقي الأقوى، أتت الغزوات وقضت وأبادت حضارات وممالك وشعوباً وثقافات وسلم منها الأقوى، هذه هي قوانين الحياة التي لا تتغيّر، يكفي أن نتذكّر أن هناك جندياً بطلاً كان يواجه الموت بعيداً عن عائلته وأحبته لأشهر ولسنوات محاصراً مع القليل من الذخيرة والطعام بمعنويات عالية، هل ننسى حصار سجن حلب ومطار الثعلة ووادي الضيف وصمود أبطالهم الأسطوري؟ هل ننسى صمود أهل حلب ودير الزور والفوعة وكفريا عندما لم يكن هناك حتى القليل من الماء في أغلب الأوقات؟ هل ننسى أسرانا في السجون الإسرائيلية الذين قاوموا كل أنواع القهر والإغراءات، من أجل التنازل عن مبادئهم وتغيير ولاءاتهم ولم يقبلوا؟ هل ننسى البطل المحرر صدقي المقت الذي عرض عليه الخروج من السجن ورفض إلا بشروطه المتوافقة مع مبادئه وانتماءاته الوطنية، هؤلاء، هذه النفوس الشامخة هي التي تعطي الوطن الحياة والعيش لا تلك النفوس المسحوقة التي تسوق للحياة من خلال دعوتها للانتحار. المواجهة تُبنى على فكر مقاوم للتحديات، على إيمان بالقدرات الذاتية، على بنية نفسية صلبة صامدة، فالحروب ليست رحلة جميلة، والدفاع عن الأوطان ليس قصة رومانسية، ومن لم يع هذه البديهيات أو تجاوزها عبر العصور فقد وطنه، هذا الكلام هو ليس بهدف تقليل حجم المخاطر ولا هو استخفاف بقوة أعدائنا، لكن الخطر يدفعنا إلى الحذر والعمل من أجل تفاديه، أما الذعر فيؤدي إلى الشلل والفشل المحتوم، وفي هذا الإطار دار هناك مؤخراً جدل بين وجهتي نظر حول كون «قانون قيصر» خطيراً ومدمّراً أو أنه مجرد حالة دعائية لا تأثير لها، يعني وجهتي نظر، الأولى مذعورة والثانية لا ترى الواقع بشكل صحيح.

«قانون قيصر»

وفي الواقع، فإن كلا الرأيين خطأ لأن «قانون قيصر» ليس حالة منفصلة ومجردة لكي نتساءل عنه بسؤال مجرد، هو ليس حالة منفصلة عن كل ما سبقه، هو جزء من مراحل أخرى من الحصار سبقته بسنوات وكان لها آثار بالغة الضرر على السوريين، وكانت تتصاعد بشكل مستمر، وعملية التصعيد لخنق الشعب السوري كانت مستمرة معه ومن دونه، الفرق الوحيد أن هذه المرحلة وضعوا لها عنواناً، وبالتالي نسينا العنوان الأكبر وهو الإرهاب الاقتصادي وتلهينا بالعنوان الأصغر وهو «قيصر»، نسينا أنه جزء وافترضنا أنه الكل، نسينا أنه تتمة وافترضنا أنه بداية. بالمحصلة هذا القانون فيه شيء من الضرر الإضافي، وفيه الكثير من الحرب النفسية، فإذن علينا ألا ننفي ضرره وألا نبالغ بتضخيمه وأن نعمل من أجل تحجيمه، لأن أعداءنا لا يبنون خططهم على خطوة واحدة أو حدث واحد وإنما على تراكم من الخطوات والأحداث، فإذن علينا أن ننظر إلى السياق العام لكي نفهم هدف كل حدث ودوره في هذا السياق العام وفي مخططاتهم، ولفهم خلفيات القانون علينا أن نسأل عدداً من الأسئلة البسيطة والبديهية، لماذا صدر هذا القانون بهذا التوقيت، هم دائماً يصعدون من دون قوانين فما حاجتهم لهذا القانون؟

أولاً من خلال السياق العام للحرب، كلما فشل الإرهابيون في مهامهم كان هناك تصعيد، مرة يذهبون إلى مجلس الأمن، مرّة يصعّدون في موضوع الكيماوي، مرة يقومون بقصف قواتنا وإلى آخره، في هذه المرة وبعد تحرير غرب حلب وجنوب إدلب كان العنوان هو العدوان الاقتصادي بهدف إضعاف نتائج الانتصارات التي حققتها قواتنا وجعلها باهتة ومن دون أي معنى بالنسبة للشعب السوري، أما الجانب الآخر فهو تحفيز الإرهابيين، فخلال السنوات الماضية فقد الإرهابيون ثقتهم بأسيادهم وبدؤوا بتسليم السلاح وبدؤوا بتغيير مواقفهم وفقدوا الأمل بأن يحققوا شيئاً كما كانوا يوعدون عبر السنوات الماضية، والولايات المتحدة تحتاج لهؤلاء الإرهابيين ليس فقط في سورية، في العراق، في ليبيا، في اليمن، في أماكن أخرى، وأنا لا أتحدّث عن بعض الإرهابيين، كل الإرهابيين وفي مقدمتهم «داعش»، بغض النظر عن الأكاذيب التي يسوقها الأمريكي تجاه «داعش» وتجاه «جبهة النصرة». هؤلاء الأقرب إلى قلب الأمريكي، «داعش» و«النصرة» و«جبهة الشام» و«أحرار الشام» وهذه التسميات المختلفة، هم يريدون من هذا القانون أن يعبروا عن التزامهم تجاه الإرهابيين، وأن يقولوا لهم نحن معكم حتى نهاية الطريق، فإذن التوقيت هو ضمن السياق العام لما يقوم به الأمريكي.

أما السؤال الثاني فلماذا ترافق «قانون قيصر» مع حرق المحاصيل في المنطقة الشرقية، ومع منعها من الوصول إلى المواطنين السوريين؟!، لأنهم يعلمون تمام العلم أن القانون وحده لن يكون قادراً على خلق الحالة التي يريدونها، بمعنى أنه حالة إعلامية أو نتائجه الإعلامية أكبر بكثير من نتائجه الفعلية، لذلك كان لا بد من إجراءات أخرى توازيه من أجل أن نشعر بهول هذا القانون، وبالتالي كان لا بد من أن يكون هناك ضغط على لقمة المواطن عبر الضغط على موضوع القمح بالإضافة إلى المواد الأساسية الأخرى.

أما السؤال الثالث فهو لماذا تزامنت الضربات الإسرائيلية الأخيرة في البادية والمناطق المجاورة لها مع صدور القانون؟! لأنها أتت لتسهيل حركة «داعش»، فخلايا «داعش» تتوضع في مناطق البادية وما حولها، وهي ليست خلايا نائمة، هي خلايا نشيطة، وهذا جانب آخر من جوانب «قانون قيصر»، فإذن هو ليس مجرد قانون لفرض عقوبات اقتصادية وإنما هو عنوان لمرحلة جديدة من التصعيد لا تختلف في الجوهر عن كل ما سبقه مع بعض الإضافات في الشكل والمضمون، في الواقع كل المراحل الأخرى تعتمد على المنهجية نفسها عندما يكون هناك تصعيد، تحريك للإرهاب، حصار اقتصادي، ضغوط سياسية وغزارة في الأكاذيب.

الرد العملي على الحصار

المضحك أن الأمريكيين يطلقون على عقوباتهم تسمية «العقوبات الذكية»، التي تتلخص في حرق المحاصيل ومنع وصولها إلى المواطنين، بالإضافة إلى منع الأدوية والوقود



لسنا اقتصاداً مدمراً.. وما نحتاجه هو الإرادة والجرأة



وغيرها، يعني القراصنة وقطاع الطرق واللصوص عبر التاريخ كانوا أيضاً يطبّقون «العقوبات الذكية» بالطريقة نفسها لأنهم كانوا يستولون على أرزاق الغير ويمنعون وصولها، هنا نسأل سؤالاً: إذا كان قطع الأرزاق وخنق الشعب السوري هو عقوبات ذكية فماذا نسمي خنق جورج فلويد في الولايات المتحدة من قبل شرطة النظام الأمريكي؟ ما هو التشابه بين محاولات خنق الشعب السوري وخنق جورج فلويد لأسباب عنصرية، هل هو الذكاء أم الوحشية؟ أعتقد أن الجواب واضح للجميع، فإذن الجانب الأول لمواجهة خططهم هو أن نفهم الأمور بأعماقها لا بمظاهرها وأن نبحث عن الحقائق ثم نربط فيما بينها وبعدها نحدد الخطوات التي يجب اتخاذها. الرد العملي على الحصار يكون بزيادة الإنتاج في كل القطاعات، وهذا ينطلق أولاً من التعامل مع المشكلات والسلبيات والتحديات التي تواجهنا، وهي معروفة لمعظمنا، فحلّها والتخلّص منها هو مطلب وطني بمعزل عن تحديات الحرب والحصار، لكنه أصبح اليوم في ظرفنا الراهن أكثر إلحاحاً، وعملية التطوير أكثر ضرورة، في مقدّمة هذه التحديات يأتي الوضع المعيشي الذي يرتبط مباشرة بالقدرة الشرائية لعملتنا الوطنية، وأنا لست خبيراً مالياً لكن هناك بديهيات وحقائق معروفة ولا بد من الانطلاق منها، فالعوامل التي تؤثّر في الليرة معروفة، التأثير المباشر للحرب الذي أدى إلى تباطؤ الاقتصاد بفعل تدمير البنية التحتية، والتراجع الكبير للاستثمار، أيضاً الحصار الذي أدى إلى منع استيراد المواد الأساسية الضرورية لعملية الإنتاج، للخدمات، ولحياة المواطن بالإضافة إلى منع التصدير، الحيوي لأي اقتصاد في العالم، أيضاً تراجع الوضع الاقتصادي للدول المجاورة، وهناك علاقة مباشرة بيننا وبين اقتصاديات الدول المجاورة فلا بد أن نتأثر، أضيف إليها حصار كورونا داخل البلد أو الحظر، أضيف إليها الحصار الدولي بسبب كورونا أيضاً، والذي أدى الى تراجع غير مسبوق بالنسبة للاقتصاد العالمي.. كل هذه العوامل أثّرت بشكل متصاعد خلال العشر سنوات الماضية في موضوع الاقتصاد والليرة السورية، هذه الحقائق هي بديهيات ليست تبريراً لأي تقصير وإنما وصف لحالة، وهي ستؤثّر فينا، شئنا أم أبينا، لكن هذا التأثير ليس مطلقاً، يعني أن تقضي علينا أو نقضي عليها، الضرر نسبي ولكن تعتمد مواجهة الضرر على قدراتنا، على إبداعنا، على إرادتنا، أما إذا انتظرنا تغيّر الظروف فلن تكون هناك أي نتائج.

ما الذي يطرأ حتى يحصل تبدّل سريع لسعر الصرف بشكل مفاجئ؟ العوامل لم تتغيّر، سعر الصرف كان يخضع للمضاربة من الخارج بحكم الحرب ومن الداخل بحكم الجشع، فإذن لم تكن هناك تغيّرات طارئة والاقتصاد نفسه والتصدير المحدود كان هو نفسه، فإذن العامل الوحيد كان هو الهلع الشعبي. كل العوامل لها علاج إلا الهلع الشعبي عندما تركض الناس من أجل شراء الدولار والذهب بدلاً من الاعتماد على عملتها، وبالنظر لتجارب عدد من الدول التي انهارت عملتها وأسواق بورصتها في سنوات ماضية، خلال العشرين عاماً الماضية كان اقتصادها ممتازاً وكان وضعها الأمني ممتازاً، كل شيء ممتاز، وفجأة حصل هذا الانهيار لسبب وحيد وهو الهلع الشعبي، وهذا يعني أن توقّعات المحللين كانت من دون أي معنى في ذلك الوقت. لذلك كل شخص كان يبيع الليرة من أجل الادخار كان في الواقع يساهم بالتضخّم، والتضخّم يساهم برفع الأسعار، وبالتالي هو يخسر أكثر مما وفّر، وهذا التصرّف أناني لأنه يفكر بنفسه ولا يفكر بالضرّر الذي يلحقه بالكثير من السوريين وبقدرة الدولة على توريد المواد الأساسية، البعض يعتقد أنه بمبلغ محدود لا يؤثّر في الاقتصاد، هذا الكلام غير حقيقي، غير صحيح. كورونا ابتدأ بشخص وانتقل إلى كل العالم، وسعر الصرف عندما يتأثّر سلباً ينتقل بالعدوى بشكل أسرع من كورونا ومن الفيروس، لأن الفيروسات بحاجة لاحتكاك مباشر، أما سعر الصرف فهو ينتقل عبر الانترنت، هناك فرق بين الحاجة للعملة الأجنبية للإنتاج، وهو شيء إيجابي، وبين الاستغناء عن العملة، الاستغناء عن العملة يعني عملية إعدام لها، عملية الإعدام تعني أن نتحوّل رهائن لقرار دولة أخرى اقتصادي وسياسي، يعني أن نتحوّل إلى دولة فاقدة السيادة، يعني أن نتحوّل إلى عبيد، وأنا هنا لا أتحدّث عمّن لا يمتلك المدخرات، وإنما نتحدّث عمن يمتلك حصراً مدخرات ولو كانت قليلة، من يمتلك المدخرات يصرف كل أمواله في السوق، ربما لا تكفيه حتى نهاية الشهر، لكن السؤال هل لدينا خطة؟ بكل تأكيد لدينا خطة، ولو لم يكن لدينا لكنا اليوم في مكان آخر منذ عام ٢٠١٢، وهذه الخطة خطة غير تقليدية لأن ما يحصل مع سورية بعيد عن القواعد المالية وبعيد عن كل القواعد العلمية، ولا يمكن أن نتحدّث عن هذه الخطط لأنها جزء من الحرب. لكن بالملخص الإجراءات التي تطبّقها المؤسسات تهدف لتثبيت سعر العملة، أما تثبيت هذا السعر أو إعادته إلى الوضع الأفضل بحاجة إلى تعاون الجميع، لأن الليرة موجودة بيد الجميع وليس فقط بيد المؤسسات وعلينا أن ندعمها بدلاً من أن نفرّط بها لصالح عملات أخرى، ولنتذكّر أن وقوفنا مع الجيش كان سبب إنجازاته ووقوفنا مع ليرتنا سيكون سبب قوتها.

ما نحتاجه هو الإرادة والجرأة

النقطة الأهم لمواجهة كل هذه التحديات، سواء كان سعر الليرة أو التحديات الاقتصادية الناشئة عن الحصار وغيرها فهي متعلقة بدورة الاقتصاد، دورة الاقتصاد تخفف من التأثيرات السلبية لتراجع سعر الصرف، وننطلق من السؤال البديهي وهو: هل يمكن في هذه الظروف أن نقوم بزج رأس المال في الاقتصاد الوطني وفي المشاريع؟ السؤال بحد ذاته يعني أننا ننتظر الظروف لكي تتبدّل، الظروف لن تتبدّل في المدى المنظور، فإذن علينا أن نسعى لتغييرها لكي لا نكون كقطعة الخشب في قلب المحيط التي تأخذها التيارات في الاتجاهات حيثما شاءت، على عكس ما يعتقد البعض هذا الظرف هو الظرف المناسب لزج الأموال، لتحسين الوضع المعيشي، لخلق فرص العمل، لدعم الليرة السورية، وخاصة أننا لا نتحدّث عن اقتصاد دولة أو اقتصاد مدمّر لدولة مدمّرة، بالرغم من كل الدمار فالاقتصاد السوري والاستثمارات ما زالت موجودة، هناك استثمارات كثيرة كانت موجودة قبل الحرب وقاومت كل الخسائر التي مرت بها وما زالت صامدة. هناك استثمارات بدأت خلال الحرب، هناك استثمارات توسّعت خلال الحرب، ماذا يعني هذا الكلام؟، يعني أن الإمكانيات موجودة، يعني أن القدرة موجودة ولكن ما نحتاجه هو المزيد من الإرادة والمزيد من الجرأة، هناك من يقول: إن رأس المال جبان، وهذا مصطلح متداول كلنا نعرفه، صحيح، رأس المال الأجنبي جبان، أما رأس المال الوطني فلا يجوز أن يكون جباناً، رأس المال الوطني عندما يكون جباناً يكون خاسراً وعندما يخسر، يخسر معه الوطن، وعندما يخسر الوطن، بسبب رأس المال الوطني، لا يمكن أن يكون رأس المال هذا رأسمال وطنياً، لا يمكن أن يكون وطنياً إلا عندما يكون جزءاً من دورة الاقتصاد. والدول التي بنيت عبر التاريخ، وخاصة التاريخ الحديث، بنيت برأس المال الشجاع، لم تبن برأس المال الجبان، بنيت برأس المال المبادر، لم تبن برأس المال المتلكئ، طبعاً، بنفس الوقت، هذا الكلام لا يكفي، بنفس الوقت، يعني أن نقوم في المؤسسات الحكومية بشكل خاص وفي مؤسسات الدولة بشكل عام بالعمل بشكل حثيث على إزالة كل المعوقات من وجه كل أنواع الاستثمارات، ولكن كنا دائماً نركّز على الاستثمار الكبير، اليوم يجب أن ندعم الاستثمار الصغير لقدرته الأكبر على حمل الاقتصاد الوطني، السبب، أنه مرن، أكثر قدرة على تحمّل الضغوطات وعلى مواجهة الحصار، أكثر تنوّعاً وأكثر توزعاً جغرافياً وأكثر اعتماداً على الموارد المحلية، كلفه أقل وتمويله أسهل، ويجب إعطاء المزايا التفضيلية للصناعات التي تعتمد على الموارد المادية والبشرية وفي مقدّمتها التي تخفف من الحاجة للاستيراد. أيضاً بشكل خاص التي تدعم القطاع الزراعي، باعتبار القطاع الزراعي هو عماد الاقتصاد الوطني، بالإضافة لدعم تصنيع وتسويق المنتجات الريفية والمنتجات الأسرية، وأنا كما تلاحظون أتحدّث عن الاستثمارات الصغيرة لأنها متنوّعة وموزّعة، فهي قادرة على أن تخلق فرص عمل وفعلاً تحمل الاقتصاد في وضعنا الحالي، ويمكن أن تؤسس بسرعة أكبر بكثير من الاستثمارات الكبرى، وهذا من شأنه، أي دعم تصنيع وتسويق المنتجات الريفية، أن يخلق استقراراً أكبر للمجتمعات الريفية ويخفف الهجرة من الريف والضغط عن المدينة.

القطاع الزراعي

أما القطاع الأهم وهو الزراعة فهو الأقدر على دعم دورة الاقتصاد بحكم دوره في مجتمعنا واقتصادنا منذ الأزل، لكن دوره تأثّر سلباً بميل الكثيرين لاقتصاد الخدمات، الذي نما على حساب الاقتصاد الزراعي، وعلى الرغم من أن هذا القطاع هو محل دعم كبير من قبل الدولة منذ عقود إلا أن طرق الدعم وبنية وهيكلية قطاع الزراعة مازالت هي نفسها دونما تبديل، وأي قطاع لا تتطوّر إدارته ويخضع لإعادة هيكلة لا يمكن أن يتطوّر، ولو تطوّرت السياسات، فالإدارة تحدّد علاقة المؤسسات المعنية مع بعضها البعض، توزيع الأدوار، المهام، التنسيق، التخطيط المشترك، التنفيذ المشترك، لدينا وزارات عديدة متعلقة أو معنية بالقطاع الزراعي، لدينا مديريات مركزية، لدينا شركات إنشائية، لدينا جمعيات فلاحية وفوقها الروابط والاتحادات واتحاد الفلاحين، من ينسّق بين كل هذه الجهات في دعم الزراعة التي نقول إننا ندعمها والخطط تدعمها. سيأتي شخص ويقول هناك خطة زراعية تعممها وزارة الزراعة في بداية كل عام، صحيح ولكن أي خطة من دون آليات ومهام واضحة، وهذه الجهات التي ذكرتها هي جهات نسبياً مستقلة عن بعضها، لا يمكن أن تكون النتائج إلا نتائج متواضعة، لذلك لا نلاحظ بأن هناك تطوراً وقفزات تتناسب مع الدعم الذي تقدمه الدولة للقطاع الزراعي، ما هو الحل الأفضل في مثل هذه الحالة وفي مثل هذه الظروف، لا بد من خلق برامج، برامج عامة في الزراعة للقطاعات الاستراتيجية أو برامج قطاعية لقطاعات معينة في الزراعة ربما نركز فيها على الزراعات غير الاستراتيجية، ما هو البرنامج، هو خطة لكن واضح بهذه الخطة من يدير، واضحة المهام، المهام مع توزيع الصلاحيات بدقة، آليات واضحة، وبالتالي يمكن لنا متابعة تطور ونتائج هذه البرامج ويمكن لنا بنفس الوقت أن نحدد من هو المقصر وسبب التقصير وبالتالي المحاسبة، لأن تقصير أي جهة من هذه الجهات في أي مشروع من مشاريع الزراعة أو في أي قطاع سيؤدي إلى تأخر وعرقلة وتقصير في كل المشاريع الأخرى، أو عرقلة عمل باقي المؤسسات، أما بالنسبة للسياسات فلا بد من دعم المحاصيل الريفية غير الاستراتيجية. يعني اليوم في ظروف الحصار كل شيء يصبح استراتيجياً، المحاصيل التي نسميها محاصيل غير استراتيجية، صحيح لا نحتاجها بشكل يومي كالقمح وغيرها ولكن بالمحصلة هي محاصيل متنوّعة وتسد الكثير من الحاجات الغذائية وأيضاً تساعد بخلق فرص عمل، ودعمها يكون من خلال تسويقها ومن خلال دعم الصناعات الغذائية المرتبطة بها، وخاصة الصناعات الصغيرة والمحلية، والتي يجب أن تكون جزءاً من السياسات الزراعية العامة أو البرامج القطاعية، يعني لا نستطيع اليوم أن نتحدّث عن الأبقار والماعز وعن إنتاج الحليب ولا نتحدّث عن صناعة

لن يكون هناك تعليق مشانق.. فالقضية إصلاح وليست انتقاماً

الحليب ومشتقاته، لا نستطيع أن نتحدّث عن الدواجن ولا نتحدّث عن صناعة الأعلاف، لا نستطيع أن نذهب باتجاه صناعة أخرى أو منتج آخر، العسل قيمته المضافة عالية لا نستطيع أن نتحدّث عن العسل ولا نتحدّث عن خطوط للتعبئة والتوضيب لكي يكون قابلاً للبيع مع قيمة مضافة عالية ولاحقاً التصدير وإلى آخره.. المنتجات كثيرة، أنا أعطي فقط أمثلة، يعني من الصعب أن نفترض بأن السياسات الزراعية هي سياسات مستقلة، بالملخص الإصلاحات العاجلة في قطاع الزراعة قادرة على إعطاء نتائج سريعة وواسعة أكثر من القطاعات الأخرى، لذلك يجب أن تشكّل هذه الإصلاحات أحد المحاور الرئيسية لعمل المؤسسات الحكومية في المرحلة القادمة.

السيدات والسادة.. إن العمل على تعزيز الموارد يجب أن يترافق بالعمل على وقف استنزافها فلا يمكن ملء وعاء مثقب دون إغلاق الثقوب، والفساد هو ثقوب الاقتصاد وثقوب الأخلاق وثقوب المجتمع وهو استنزاف للوطن، البعض يعتقد أن الحملة انطلقت في الأعوام القليلة الماضية وهذا غير دقيق، أولاً غير دقيق لأن كلمة حملة هي كلمة مؤقّتة لها بداية ولها نهاية، بينما الفساد مستمر، ثانياً لأن محاربة الفساد لم تتوقّف أبداً في يوم من الأيام ولكنها تصاعدت خلال السنوات الأخيرة لعدة أسباب، وسأذكر هذه الأسباب لأنه من الضروري أن نعرف ما الذي يحصل.

السبب الأول، هو تزايد قدرة المؤسسات على إثبات حالات الفساد في ظل الثغرات الكثيرة والكبيرة الموجودة في القوانين، والتي تشكل غطاء للفاسدين، هذا السبب الأول، السبب الثاني، نحن في قلب الحرب ونتحدّث دائماً عن تحرير الأراضي والمناطق المختلفة ولكن عودة سلطة الدولة تكون من خلال عودة سلطة القانون وليس فقط من خلال تحرير الأراضي، تحرير الأراضي من دون قانون ليس له معنى، والقانون والفساد لا يمكن أن يلتقيا في مكان واحد فلا بد من ضرب الفساد لكي يسود القانون ويكتمل التحرير.

أما النقطة الثالثة، وبما أننا نعود لوباء كورونا، بما أننا في قلب الوباء، فما هي أهم عوامل مقاومة وباء كورونا، هو الجسد السليم، نمط الحياة الصحيح، الغذاء الصحيح وإلى آخره، وليس كما قال ترامب أن نشرب المعقمات، فالحقيقة أن الحرب والحصار والعدوان بكل أشكاله على سورية هو مرض، فلا يمكن لنا أن نقاوم المرض على المستوى الوطني إن لم يكن هذا الجسد سليماً، لذلك الكثيرون كانوا يعتقدون في بداية الحرب، أن الحرب تؤجّل الكثير من الأولويات، ومنها مكافحة الفساد، العكس هو الصحيح تماماً، كلما اشتدت الضغوط التي شبهتها بالأمراض كانت مكافحة الفساد أكثر ضرورة لمثل هذه الظروف لأن مكافحة الفساد هي التي تعطي الوطن الجسد السليم، لا يمكن للوطن أن يصمد وهو ينهش من قبل الإرهابيين وينهب من قبل الفاسدين.

القضية إصلاح وليست انتقاماً

البعض يجادل أن الفساد ظاهر، يقولون: إن كل الناس تعرف، إذا سرت في الشارع ترى المخالفات وغيره من الكلام، نقول لهم لا، المسؤول يرى من خلال القانون، والقانون يرى من خلال الوثائق والأدلة، لا نستطيع أن نسير كمسؤولين عبر القيل والقال وعبر الآراء الشخصية وإلا في تلك الحالة فنحن نسهم في بناء غابة وليس في بناء دولة، لذلك أقول للمتحمسين، وأنا منهم، لمكافحة الفساد والذين يتحدّثون بشكل مستمر عن تعليق المشانق، أقول، لن يكون هناك تعليق مشانق في مكافحة الفساد سيكون هناك إصلاح للقوانين، هناك إصلاح للقرارات وهناك إصلاح للإجراءات، فالقضية قضية إصلاح وليست قضية انتقام وفشة خلق، الردع ضروري بكل تأكيد ولكن هناك أولويات، وهناك تسلسل، الردع هو العامل الأخير في مكافحة الفساد وليس الأول، فإذا سرنا في هذه العملية وابتدأنا بالعامل الثاني والثالث والرابع ووصلنا إلى الآخر ولم نبدأ بالأول فكل ما قمنا به ليس له تأثير وليس له أي معنى. كل ما سبق يعني أننا مستمرون في استرداد الأموال العامة المنهوبة بالطرق القانونية وعبر المؤسسات، ولن يكون هناك أي محاباة لأي شخص يظن نفسه فوق القانون، وكل ما تمّ في هذا المجال يؤكّد أن حديثنا عن مكافحة الفساد لم يكن يوماً كلاماً إنشائياً أو دعائياً أو للاستهلاك المحلي، فالأفعال أكثر بلاغة، والحقائق أكثر دلالة على ما تقوم به المؤسسات في هذا المجال وعن جديتها وحزمها وحسمها.

إن العناوين التي تم ذكرها وغيرها الكثير وهي غيض من فيض تؤكد قدرتنا على تحسين أوضاعنا بالرغم من صعوبة الظروف، فالتحديات هي فرص، واستغلال هذه الفرص هو الذي يبني الأمم، فلنسد الثغرات في بنية اقتصادنا ولنزد من اعتمادنا على أنفسنا، عندها فقط سنحوّل المحنة إلى منحة، وقسوة الوضع المعيشي هي هاجس كبير لكل واحد فينا لكن معالجتها تحتم علينا أن نشعل شمعة بدلاً من أن نلعن الظلام، لأن الرد على المخاطر يكون بالمزيد من العمل والقليل من الكلام، فبدلاً من إضاعة الوقت بالكلام التنظيري والانفعال العاطفي والمزايدات الرخيصة من قبل البعض لاستغلال الوضع المعيشي حباً بالظهور، علينا أن نفكر جماعياً وجدياً بما يحمي المواطن ويبعد عنه العوز والفقر ويؤمّن له الغذاء والدواء، البلاغة اللفظية شيء جميل واللغة العربية رائعة في هذا المجال والعواطف الجياشة هي شيء إنساني ونبيل وكلنا نقدر هذا الجانب في أي إنسان لكنهما لا يطعمان جائعاً ولا يداويان مريضاً، المواطن بحاجة إلى شيئين فقط، بحاجة إلى حل وإلى تطبيق لهذا الحل، بحاجة إلى فكرة وإلى عمل، والعمل لا يكون من دون أمل لأن الإنسان المحبط لا يعمل ولا يقدّم شيئاً، والإنسان بفطرته لا يعمل من دون أمل، فإذاً علينا أن نعزز الأمل والعمل فمن دونهما لا معنى للحياة.

أيتها السيدات أيها السادة.. إذا أردنا أن نتحدّث اليوم عن الوضع السياسي فسيكون من الصعب تحديد المواضيع التي يمكن أن تأتي تحت هذا العنوان، فقد ذابت الحدود بين المجالات حتى أصبحت واحدة، فلا يمكن اليوم فصل السياسات الدولية عن الداخلية ولا السياسة عن لقمة الشعب ولا كل ذلك عن الإرهاب، فالإرهاب أصبح سياسة ومنع الخبز والدواء عن الشعوب سياسة، أما السياسة التي نعرفها فلم تعد موجودة بل حل محلها الكذب والنفاق وأصبح من الصعب التمييز بين العدو الصهيوني والإخونجي التركي واللص الأمريكي فكلهم ينفذون خطة واحدة تهدف لتمزيق سورية ونهب ثرواتها، وأؤكد مرة أخرى أن الحرب على سورية ليست حالة منعزلة بل هي جزء من الصراع الدولي الذي يقوده الغرب لإبقاء سيطرته على العالم بعد اهتزازها مع صعود قوى دولية ترفض القطب الواحد. فإذاً نحن وبقية العالم أمام حرب طويلة زمنياً وواسعة جغرافياً، وكما كان بدء الحرب علينا بداية لتغير الخرائط السياسية العالمية فلا بد أن يكون الدفاع عن سورية أيضاً جزءاً من رسم هذه الخرائط لكن بالشكل الذي يعيد للعالم شيئاً من التوازن الذي خسره خلال العقود الثلاثة الماضية والذي دفع العالم أثماناً باهظة لفقدانه ومازال، في خضم هذا المخاض العالمي وفي قلب هذه الفوضى وما تحدثه من غبار مليء بالخداع والأكاذيب، لا شيء يشوش رؤيتنا أو يجعلنا نخطئ هدفنا، فكما أن محور سياسة أعدائنا هو دعم الإرهاب فمحور سياستنا هو الاستمرار بضرب الإرهاب وتحرير ما تبقى من الأراضي لصيانة وحدة أرضنا وحماية شعبنا، والتوقيت تحدده جاهزية قواتنا المسلحة لخوض المعارك المخططة، وعندما نخوضها لا فرق عندنا بين إرهابي محلي ومستورد ولا بين إرهابي وجندي محتل ولا بين صهيوني وتركي وأمريكي فعلى أرضنا كلهم أعداؤنا. أما عن المبادرات السياسية، فرغم الجهود الصادقة لأصدقائنا في إيران وفي روسيا من أجل دفعها إلى الأمام إلا أنها وبفضل الولايات المتحدة ووكيلتها تركيا وممثليهما في الحوار فقد تحوّلت من مبادرات إلى خزعبلات سياسية، مع ذلك مازلنا



نعتقد بضرورة دعم المبادرات السياسية بالرغم من معرفتنا أن الطرف الآخر محكوم بأموال وأوامر أسياده الحقيقيين خارج الوطن، وأن استخدام المبادرات السياسية هدفه إيقاعنا بأفخاخ نصبوها ليحققوا عبرها ما فشلوا به عبر الإرهاب، وهذا لن يكون سوى في أحلامهم، ولكننا سنسير معهم تطبيقاً للمثل الشعبي «الحق الكذاب لورا الباب»، أما الحوار الحقيقي، الحوار الحر بين أناس أحرار والذي نؤيده بقوة ونسعى إليه بصدق ونؤمن به بعمق فمازال مجرد أمنيات تتحطّم على واقع العمالة والخيانة والعبودية، باختصار كل الضجيج والغبار الذي كان يثار من وقت لآخر لم يحمل معه أي تبدّل يذكر، فالوطني يدافع عن الوطن والخائن يسعى لتدميره ولا تبديل في المواقع، وعندما يكون هناك أي مستجدات في المستقبل فبكل تأكيد سنتحدّث عنها بشفافية ليكون الشعب مطلعاً على كل التفاصيل.

الجولان باقٍ في قلب كل سوري شريف

بالمحصلة هذه الحرب أثبتت صحة مواقفنا من القضايا الأساسية فزادتها ثباتاً بدلاً من تغيرها كما أمل الأعداء، فـ «إسرائيل» عدو وهي أصل الإرهاب ومنشؤه، وتبقى فلسطين القضية المركزية وأبناؤها أخوة لنا، وإذا كان هناك من نكر الجميل وخان العهد فليس بسبب انتمائه لفلسطين وإنما بسبب عدم انتمائه لها، لا فرق بينه وبين أي سوري أو عربي أو أجنبي ارتكب فعل الغدر والخيانة. أما الجولان فهو باقٍ في قلب كل سوري شريف، لا يغير من وضعه قرار ضم من حكومة كيان غير شرعي ولا تصريح من نظام أمريكي لا أخلاقي، وحقنا في عودته دائم ما دامت الوطنية حية في قلوبنا، والطريق إلى إعادته لا ينفصل عن الطريق لاستعادة كل الأجزاء الأخرى من الإرهابيين أو المحتلين، فهزيمة صهاينة الداخل هي الطريق لهزيمة صهاينة الخارج واستعادة أراضينا كاملة. أما أهلنا الأحبة في الجولان المحتل، فسيبقون كما كانوا الأبناء الأبرار لسورية الأم والشوكة في عين وفي حلق الصهاينة المحتلين، وهم شكلوا بالنسبة لنا طوال نصف قرن وخاصة خلال الحرب أنموذجاً في الوطنية نتعلم منه الكثير الكثير وسنداً معنوياً حقيقياً لوطنهم وقت الشدة، ودرساً لكل غادر في الوفاء ولكل خائن في الوطنية ولكل انهزامي في الصلابة والصمود.

أيتها السيدات أيها السادة.. الشعب لا يطمح لأن تكونوا مجرد صوت حر له بل فعلاً معبراً عن مصالحه، وإذا كانت هذه المهمة صعبة في الأحوال العادية فلا شك أن صعوبتها ستكون مضاعفة في حالة الحرب، وبلوغ هذا الهدف لا يكون بمضاعفة ساعات العمل، ولو أن هذا ضروري، وإنما عبر الإبداع والابتكار لمضاعفة النتائج وهذا هو المطلوب. لقد أرسل شعبنا عبر مشاركته الواسعة رسالة واضحة بأن السيادة ليست للمساومة، وأن إرادته لا تصادر، وحقه لا يباع، ومن حقه علينا كعاملين في الحقل العام أن نكون أمناء في خدمته، وعندها سنكون على قدر ثقته وعزيمته وعراقته وبسالة جيشه وتضحيات جرحاه وشهدائه، أتمنى لكم كل التوفيق في مهامكم الجسام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد انتهاء الكلمة حيا الرئيس الأسد أعضاء المجلس الجديد أثناء مغادرتهم.

وكان الرئيس الأسد التقى قبل الكلمة رئيس مجلس الشعب حموده صباغ ونائبه وأعضاء مكتب المجلس الجديد.

فاجعة بيروت.. الأسب



البعث الأسبوعية ـ أحمد حسن

كما أنها ليست المرة الأولى التي تتعرض فيها بيروت لفاجعة كبرى، فإنها أيضاً ليست المرة الأولى التي يتم فيها استغلال حدث أليم، سواء كان مدبراً أو عفوياً، لأغراض سياسية، وإذا كان الحدث الأشهر عالمياً الذي تم استغلاله مطلع الألفية الحالية هو ١١ أيلول، فإن الحدث الأشهر في منطقتنا كان اغتيال رفيق الحريري في بيروت ذاتها؛ وعلى غرار ما حدث حينها، ففيما انتظر لبنانيون وعرب ودوليون نتائج التحقيق المحلي المعتاد، امتلك لبنانيون وعرب ودوليون آخرون النتيجة التي يريدونها من تحقيق دولي طالبوا به قبل أن يبدأ التحقيق ذاته، والمحصلة في الحالتين استجداء وصاية دولية، كان فيلتمان الأمريكي عرابها في حالة الحريري، ويحاول الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون استلام الراية في فاجعة بيروت الحالية.

مفارقة التزامن مع هيروشيما

ربما كانت مجرد صدفة تزامن الذكرى ٧٥ لمأساة، بل مجزرة، هيروشيما مع فاجعة بيروت، لكنها صدفة دالة على خطورة ما تقترفه يد الإنسان، سواء عن سابق عمد وإصرار كما في الأولى، أو عن سابق إهمال واستهتار وفساد حتى الآن على ما يبدو – كما في الثانية، لكن ما يجمعهما هو الاستغلال السياسي، ففيما أنهت الأولى سباق الزعامة العالمية بتربع واشنطن وحيدة عليها لم يكن لها بحسب الخبراء أي داع عسكري، بغض النظر عن الأخلاقي هنا – مع منافسة شرسة من الاتحاد السوفييتي، يراد من الثانية إنهاء استقلال لبنان الشكلي ووضعه تحت انتداب دولي سافر، لإنهاء دوره، الجزئي والفاعل، في محور إقليمي، وجرّه نهائياً إلى محور إقليمي ودولي آخر.

تاريخ بيروتي للفواجع

لكن بيروت، للأسف، ذات تاريخ أعرق في المعاناة من هيروشيما، فـ شجرة الصنوبر، كما هو أحد أسمائها في لغات، أو للدقة لهجات، المنطقة القديمة، احترقت مراراً وتكراراً عبر تاريخها الطويل منذ ما قبل الميلاد وحتى الآن، سواء بفعل عوامل طبيعية كالزلازل والحرائق والطاعون، أو بفعل بشر بالاسم كان منهم، على سبيل المثال لا الحصر، القاتل الكبير شارون. وعن كوارثها ومآسيها كتب المؤرخون وأنشد الشعراء من الشاعر اليوناني أغاثييس الذي نعاها كـ وردة فينيقيا التي ذوت بفعل الزلزال، إلى شاعرنا الكبير نزار قباني الذي حرضّ ستّ الدنيا على أن تقوم إكراماً للإنسان.

ماذا حصل؟

عند الساعة ٥:٥٠ من مساء الثلاثاء ٤ آب، تحركت سيارة إطفاء وفرقة إسعاف من فوج إطفاء بيروت إلى المرفأ إثر ورود اتصال من غرفة عمليّات شرطة بيروت يبلّغها فيه عن حريق في العنبر رقم ١٢ في المرفأ، من دون تحديد طبيعته ومداه وأسبابه والمخاطر التي يخفيها العنبر الملعون، وعند الساعة الـ ٦:٠٨ كانت الفرقة، بعديدها وعتادها، في عداد المفقودين إثر انفجار العنبر بما فيه من مواد مخزنة من نيترات الأمونيوم قدرت بـ ٢٧٠٠ طنّ كانت كافية لإحداث ما وصفه البعض بأكبر انفجار غير نووي عبر التاريخ.

بداية القصة

وفقاً لموقع Shiparrested.com المتخصّص بالملاحة والبواخر وشؤونها القانونية، أبحرت يوم ٢٣ أيلول ٢٠١٣ السفينة روسوس من ميناء باتومي في جورجيا، وهي تحمل هذه الأطنان من نيترات الأمونيوم متوجّهةً إلى الموزمبيق، لكنها ونتيجة مشاكل فنية اضطرّت للدخول إلى ميناء مرفأ بيروت. وهناك بدأت القصة الغريبة التي أصبحت معروفة للجميع، بدءاً من تفريغ حمولتها بطلب من قاضي الأمور المستعجلة اللبناني بعد ادعاء مجموعة من الدائنين على المالك، مشترطاً – أي القاضي – أن توضع الحمولة في مكان مناسب تحت حراسة وزارة الأشغال. وبدل أن يكون مستقرّها، منطقياً، مخازن الجيش اللبناني، وجدت المواد طريقها إلى العنبر رقم ١٢ في العام ٢٠١٤، باعتباره المكان المناسب، بحسب تقدير وزارة النقل.

ما حصل بعدها، ورغم توالي السنين، لا يتجاوز المراسلات والردود عليها بين إدارة الجمارك، كونها الضابطة العدلية في نطاق المرفأ، وبين قاضي العجلة ووزارتي النقل والمالية، دون أن يقوم أي منهم بإجراء قانوني وعملي فعلي، في ظل غياب مريب لمالك الباخرة الروسي الجنسية وللجهة الرسمية في دولة موزمبيق التي طلبت استيرادها.

الأسئلة

ما جرى، وهذا الإهمال والتسيّب، المقصودان في نظر البعض، يطرح أسئلة عدّة تناولها جميعاً الإعلام المحلي والدولي، تبدأ من اسم المسؤول، شخصاً كان أم مؤسسةً، عن الاحتفاظ بمواد شديدة الخطورة مثل هذه في مرفأ مدني ولهذه الفترة الطويلة؟ ثم لماذا بقيت هذه المواد في لبنان ما دامت عابرة كما قيل سابقاً؟ ولماذا لم ترحَّل الحمولة لاحقاً بعد معالجة أمر الباخرة التي غرقت لاحقاً؟ ومن المستفيد من بقائها؟ من يدفع بدل إيجار تخزينها؟ خاصة وأن هذا البدل يدفع بالدولار الأمريكي كما يعلم الجميع، وبالتالي، وهذا السؤال الأهم: هل هي عابرة حقاً، أم جاءت لهدف ما مرتبط بأهداف محدّدة سواء في الداخل اللبناني أو نظيره السوري؟! خاصة وأن للمرافئ اللبنانية، خلال الأزمة السورية، سوابق خطيرة في هذا المجال، وهذا السؤال الأخير تشرعنه أيضاً أسئلة أخرى من قبيل: لماذا تخلت دولة الموزمبيق الفقيرة، وهي وجهة الباخرة النهائية كما قيل، عن الحمولة ذات الثمن المرتفع؟ ولماذا تخلى مالك الباخرة أيضاً عن باخرته وحمولتها وعن طاقم ملاحيها رغم أنه لم يمض على شرائه لها إلا بضعة أشهر؟!

والأمر لا يتوقف على ذلك طبعاً، فهناك أسئلة أخرى عن حجم الخسائر الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة، جراء الانفجار، وعن البدائل المتوافرة أمام لبنان لتأمين حاجياته المعيشية الملحّة، وعن المرفأ ذاته وإمكانية إعادة تأهيله وزمنها، وعن الجهة التي ستقوم بذلك، وهذا سؤال هام جداً، خاصة في ظل استعداد الصين للقيام بهذا الأمر والموقف الأمريكي الواضح منها، ما يعني أن إجابته ستحدّد وجهة لبنان السياسية في المرحلة القادمة.

الإجراءات

كما هو معروف، شكلت الحكومة اللبنانية لجنة تحقيق في أسباب الفاجعة وتقديم المسؤولين عنها إلى القضاء، وكانت أولى إجراءاتها إصدار النيابة العامة اللبنانية منع سفر عن مسؤولي الجمارك والمرفأ خلال الفترة الماضية وإيقافهم على ذمة التحقيق، كما قامت الهيئة المصرفيّة بتجميد أموالهم احترازياً.

التداعيات

هناك نوعين من التداعيات، سياسي، وإنساني، وإذا كانت استقالة الحكومة –دفعها للاستقالة فعلياً– هي أولى بشائر التداعيات السياسية، وهي خطوة تضع البلد أمام رهانات عدة

ـــاب والتداعيات والمآلات



بعضها خطير جداً، فإن التداعيات الإنسانية كبيرة للغاية، بدءاً من الخسائر البشرية، التي لا تعوّض بثمن، مروراً بالتبعات البيئية والنفسية والخسائر المادية المهولة، وصولاً إلى أزمة غذائية خانقة تلوح في أفق لبنان خاصة في ظل المعلومات التي تقول إن غذاء اللبنانيين في ٨٠ ٪ منه مستورد، وأن حركة التجارة، الصادرة والواردة، تمرّ في نحو ٧٠ ٪ منها من مرفأ بيروت، وهذا يعني أن التداعيات الغذائية والمعيشية ستكون أخطر بما لا يقاس في المرحلة المقبلة.

الاستغلال السياسي

مُنذ اللحظة الأولى للكارثة، انطلق دعاة الدم لاستغلالها في مشروعهم المعلن، وفيما كان رئيسهم في البيت الأبيض، دونالد ترامب، يعلن أنّ انفجار بيروت، بحسب جنرالاته، ناجم عن قنبلة من نوع ما، ويبدو أنه اعتداء، وهو ما نفاه البنتاغون فوراً، انطلقت وبتزامن لافت في بيروت، وعلى وسائل إعلام الخليج المعروفة التوجه، رواية تتحدّث عن مخازن سلاح ومواد متفجرة تعود لحزب الله تم قصفها بواسطة إسرائيل، لتحمّل بالتالي الحزب مسؤولية تخزين مواد خطرة مثل هذه في مناطق مدنيّة حساسة، ليكون مسؤولاً، لاحقاً، عن كل الدماء البريئة التي سالت والخراب الذي حصل؛ ومع هذه النظرية، انطلقت على لسان ما كان يسمى قوى ١٤ آذار الدعوات إلى تحقيق دولي، لأنه لا ثقة لنا بالحكومة ولا بالتحقيق المحلي، في استعادة لافتة، باللغة والأشخاص أنفسهم، لـ واقعة ٢٠٠٥، وما حدث بعدها، لكن اللافت هذه المرة كان في تصاعد الدعوات، من سياسيين ومثقفين وقادة رأي عام، لتبلغ مرحلة استجداء إعادة الانتداب إلى البلاد باعتبارها قاصرة عن حكم نفسها بنفسها.

ماكرون الوجه اللطيف لترامب أو مبعوثه السري؟

هنا تحديداً، يأتي دور بابا ماكرون، ففيما يقف لبنان الكبير على أعتاب الاحتفال بمئة عام على إنشائه، جاء الرجل، أصالة عن نفسه وبلده ووكالة عن واشنطن، ليعيد فعلة سلفه الأسبق جاك شيراك بعد اغتيال الحريري، وإذا كانت زيارة هذا الأخير أطلقت شرارة التحقيق الدولي في قضية الحريري، وما جرى خلالها وتلاها من استغلال سياسي فاجر، فإن ماكرون جاء، على ما بدا من خطابه، ليعيد اجتراح معجزة بابا غورو، بتأسيس نظام جديد للبنان الكبير ذاته، ولكن موحّداً تحت الوصاية الفرنسية الغربية، وبإرادتهم وشروطهم. والمال، بحسب ماكرون، موجود من رزنامة باريس، واجتماعات سيدر والإصلاحات الاقتصادية ودعم الأسرة الدولية، ولكنه يتوقف على المطالب الانتدابية التي غلّفها بكلام منمّق عن ضرورة الإصلاح، وحدّد لها مهلة زمنية لا تتجاوز أسابيع قليلة، ثم إنه سيعود في الأول من أيلول ليرى مطالبه وقد أنجزت، وإلا فلتستمر المأساة، وتلك ليست أقل من أقوال مندوب سام ولو كان هذه المرة برتبة رئيس.

ولكن، ولأن ماكرون، كرئيس لفرنسا، لا يملك المال الكافي، وبالطبع لا يملك القدرة على تأمينه وحده، فهذا يعني أن زيارته الأبوية – إلى جانب البحث عن إنجاز شخصي يساعده داخلياً وتعزيز دور الأم الحنون خارجياً – تطمح إلى احتكار صورة الممثّل الحصري، والوجه الناعم المقبول لبنانياً للولايات المتحدة وحلفائها من عرب الخليج إلى إسرائيل، وهي، في الواقع، بدءاً من واشنطن وآبار بترولها، المسمّاة دولاً، إضافة إلى صندوق النقد الدولي وسواه من جهات الإقراض الدائرة في فلكها، ستكون الجهات المانحة للمال المطلوب لإخراج لبنان من عثرته، وتلك جهات لها شروطها المعلنة: المال مقابل تغيير قواعد اللعبة في لبنان، بحسب مسؤولين غربيين، وتغيير القواعد يستوجب فرض مشروع تدويل سياسي واقتصادي ومالي وعسكري على البلد يبدأ من فرض السيطرة الكاملة على الحدود والمعابر والمرافق الحيويّة كالمرفأ والمطار، وهو، للأسف، ما تلاقيه وترحب به جهات داخلية لديها مشروع واحد قديم يختفي حيناً ثم يعود للبروز في مثل هذه المآسي، وهو مشروع استهداف مقاومة المشاريع الغربية بغض النظر عن اسم هذه المقاومة، وتجلّيها المادي المعنوي – وبأسلحة خارجية متى سنَح المجال لذلك.

مآلات

حتى اللحظة، يبدو الحديث عن المآلات النهائية للفاجعة بشقها الإنساني وبتداعياتها السياسية، الطبيعية والمفتعلة، ضرباً من التنجيم، لكن يمكن الحديث، بحذر، عن وعورة الطريق الفرنسي الذي سلكه ماكرون، فـ الأم الحنون لا تملك أكثر من التأثير المعنوي، فيما يواجه مشروع واشنطن، المالكة الفعلية للتأثير المادي، والمعروف سلفاً ببنوده وشروطه وإمكاناته، مقاومة شرسة من المحور المقابل، وما يدور اليوم هو سباق شرس بين الطرفين لتحسين مواقفهما وتعزيز إمكانيات المواجهة بينهما، وهي وإن كانت حتى اليوم تبدو مقتصرة على الشق السياسي، إلا أنه قد يكون لأي دعسة ناقصة في تقدير القوة والفرصة، أو استغلال مصلحي من طرف ثالث للفاجعة وآثارها قبل أن تبرد نيرانها، وخاصة مع اقتراب موعد الانتخابات الأمريكية، دوراً في إشعال المنطقة بأسرها.

في الذكرى الخامسة والسبعين لهيروشيما، طالب رئيس بلدية المدينة، كازومي ماتسوي، العالم بأن لا يسمح أبداً لهذا الماضي الأليم بأن يكرّر نفسه. لكنه – وبيروت شاهدة – يفعلها دائماً، لتكون البشرية، سواء بفعل مقصود أم بإهمال فاسد، هي الضحية، الدائمة أيضاً، في هذا الصراع المستمر.



قناة اسطنبول..

مشروع أردوغان المجنـ



البعث الأسبوعية ـ فايز طربوش

في عام ٢٠١١، أعلن رئيس النظام التركي رجب طيب أردوغان، وكان حينها رئيساً للوزراء، عن مجموعة من المشروعات العملاقة، لعل أبرزها كان قناة اسطنبول، وهي مجرى مائي مواز لمضيق البوسفور، على بعد ٣٠ كيلومتراً منه في اتجاه الغرب، وتقدّر التكلفة المبدئية له من ١٥ إلى ٢٠ مليار دولار، وأرباحه السنوية، بحسب إعلام أردوغان، بـ ٨ مليارات دولار سنوياً، لكنه لا يضع في الحسبان التكاليف الإضافية للمشروع، والتي من المرجّح أن تنتج عن الدمار الذي يتسبب فيه.

ويتمسّك أردوغان بمشروعه، الذي وصفه بأنه مشروعه المجنون، متجاهلاً كل التحذيرات والمخاوف من أضرار بيئية كبيرة، وتداعيات كارثية على مسار المياه العذبة، وأيضاً معالم المنطقة الأثرية، ويؤكّد: يروقهم ذلك أم لا، فقناة إسطنبول سيتم بناؤها، في محاولة منه لاستعادة أمجاد الإمبراطورية العثمانية الآفلة، وكسب أصوات الناخبين المحافظين، والذين تخلّى جزء كبير منهم عنه خلال الانتخابات البلدية، التي فازت فيها المعارضة العام الماضي في اسطنبول وأنقرة.

وبالعودة إلى المشروع المجنون، تمتد القناة لتربط البحر الأسود في الشمال ببحر مرمرة في الجنوب، بطول ٤٥ كيلومتراً، وعمق ٢٥ متراً. ويبلغ عرضها حوالي ٤٠٠ متر، ويصل في إحدى النقاط إلى كيلومتر واحد. وتبدأ القناة من بحيرة كوتشوك شكمجه، وهي بحيرة طبيعية في بحر مرمرة، وتمتد شمالاً إلى سد سازليديري، ثم قرية شاملار، وصولاً إلى البحر الأسود.

استمرار صلاحية اتفاقية مونترو

ويزعم النظام التركي أن هذا المشروع – والذي سبق طرحه في حقبة زمنية مختلفة إبان الاحتلال العثماني للوطن العربي– سيغيّر من وجه النقل البري والبحري في تركيا، ويخفف من الضغط على قناة البوسفور في الشرق، التي تعتبر من أكثر الممرات المائية ازدحاماً وتشهد كثافة ملاحية هي الأعلى على الصعيد العالمي. ويقول: إن مشروع القناة سيدر على تركيا ثمانية مليارات دولار سنوياً، مقابل التعريفات التي تدفعها السفن مقابل المرور عبرها، كون القناة لن تخضع لاتفاقية مونترو، والتي تنصّ على حرية الملاحة في مضايق البحر الأسود، ومن بينها البوسفور.

وترجع اتفاقية مونترو لعام ١٩٣٦، ووقّعت عليها تركيا والاتحاد السوفييتي السابق وبريطانيا وفرنسا واليونان وبلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا واليابان وأستراليا. وتسمح للسفن التابعة للدول المطلة على البحر الأسود بحرية المرور والوجود في حوض البحر الأسود. أما السفن التابعة لدول خارج حوض البحر الأسود، فيُسمح لها بالوجود لمدة ثلاثة أسابيع. وتتحمّل تركيا المسؤولية المباشرة عن مرور السفن الأجنبي، لكنها عبّرت، ومنذ تسلّم إخوان تركيا الحكم، مراراً عن رغبتها في فرض إجراءات أكثر صرامة، تمكّنها من التحكّم في حركة

ـــون كارثـــة بيئيـــة واقتصاديـة

سفن نقل البترول وغيرها، تحت مزاعم بأنها تشكّل خطراً على البيئة.

ويثير إنشاء ممر جديد بين البحر الأسود وبحر مرمرة تساؤلات كثيرة تتعلّق بالقانون الدولي، واستمرار صلاحية اتفاقية مونترو. وأحد المخاوف الرئيسة ستتمثّل فيما إذا كانت القيود التي تفرضها الاتفاقية على الدول غير المطلة على البحر الأسود ما زالت سارية، أم أن تركيا بوسعها إدارة القناة كيفما تشاء. وسيؤدي هذا إلى نزاعات خطيرة مع أقرب جيران تركيا، وقد يجعل البحر الأسود نقطة محورية للكثير من الصراعات.

كارثة تطال ثلاث بيئات بحرية

يضاف إلى ذلك أن المعارضة التركية ترفض المشروع، وتشير إلى عدد كبير من المتغيّرات التي تهدّد النظام البيئي حول القناة، ويؤكد جمال سيدام، من جامعة هاشتبه، وأثام غوننج، من جامعة إسطنبول التقنية، أن القناة تؤدي إلى إفراغ بحر مرمرة من الأوكسجين، بسبب كميات المياه المالحة الهائلة التي ستجلبها القناة من البحر الأسود، ويضيفان: إن خلو مياه مرمرة من الأوكسجين سيقضي على الحياة البحرية، فضلاً عن انتشار رائحة البيض الفاسد من مرمرة والبوسفور إلى المناطق المجاورة. إضافة إلى ذلك، ستملأ مياه البحر المالحة جوف الجزيرة التي ستتشكّل بين مضيق البوسفور والقناة الجديدة، فيما يؤكّد اتحاد الغرف التركية للمهندسين والمهندسين المعماريين أن النظام البيئي للبحيرة، والضروري للحيوانات البحرية والطيور المهاجرة، سيدمّر أيضاً.

ويشير الأكاديمي أمين أوزوي، من معهد علوم البحار التابع لجامعة الشرق الأوسط التقنية، إلى تعتمد التيارات الهوائية الاتجاه المزدوج ذاته لمضيق إسطنبول على توازن ميكانيكي لطيف للغاية، وفي حال بناء القناة ستتغيّر هذه التيارات وتتدفق من البحر الأسود بسرعة كبيرة على طول القناة، بسبب التدخل في الطبيعة القائمة. ويؤدي ذلك إلى ترك أعماق بحر مرمرة مع كمية أقل من الأوكسجين تدريجياً، الأمر الذي يجبر الأسماك على الهجرة، بينما تواجه الكائنات البحرية، التي تعيش في قعر البحر، خطر الانقراض، فيما يؤكّد باحثون مستقلون أن هجرة الكائنات البحرية ستحوّل بيئة البحر الأسود إلى بيئة متوسطية تزداد فيها نسبة الملح، ما يعرّض الصيد للخطر إلى حد كبير. ويضيفون: قد لا ترى الأجيال المقبلة الأسماك الزرقاء المسمّاة سيد البوسفور أو سمكة البحر الأسود.

أي باختصار: ستؤدي قناة إسطنبول، مضيق البوسفور الثاني، إلى تخريب ثلاث بيئات بحرية، وهي: البحر الأسود ومرمرة والبحر الأبيض المتوسط.

ويؤكّد عمدة اسطنبول، أكرم إمام أوغلو، أن حفر القناة مشروع كارثي سيتسبب في مجزرة بيئية، فيما يقول خبراء البيئة والعلماء المتخصصون في علوم الأرض: إن إنشاء ممر مائي صناعي سيقلب التوازن البيئي في المنطقة رأساً على عقب، ويحوّل المخلفات الصناعية من نهر الدانوب إلى بحر مرمرة.

تهديد وجودي لمدينة إسطنبول

ويخشى المعارضون من أن عمليات الحفر ستؤدي إلى تخلل التربة على جانبي القناة، ويلحق الضرر بمخزون المياه الجوفية، ما قد يتسبب في انهيارات أرضية، واحتمال حدوث زلازل، ويقول منتقدو المشروع: إن هذا قد يكون أمراً كارثياً لمدينة تقع على خط صدع جيولوجي، ويضيفون: من شأن هذه القناة القضاء على بحيرة كوتشوك شكمجه، ذاك أنها تصبح جزءاً من القناة، ناهيك بتملّح مياهها إثر الاختلاط بمياه بحر الأسود، كما سيقضي المشروع على سد سازليديري، وهو خزّان مائي مهم لمدينة اسطنبول ويوفّر جزءاً كبيراً من إمدادات المياه لها.

وتشير الخطط إلى أن عملية الحفر ستزيل ٥ ٢ مليار متر مكعب من التربة، تنوي الحكومة استخدامها لبناء ثلاث جزر صناعية في بحر مرمرة، فيما ذكرت دراسة، أجريت في جامعة حجي تبة التركية، أن قطع أشجار الغابات لحفر القناة سيحد من مستويات الأكسجين في المياه.

ومن المتوقّع أن تتسبب الاستثمارات حول القناة، والتي تعود أغلبها لعائلة أردوغان وآل ثاني في مشيخة قطر، في زيادة تعداد اسطنبول بحوالي ٢ ١ مليون نسمة، وهو ما يتعارض مع الخطط بإبقاء تعداد المدينة المكتظة عند ١٦ مليون نسمة.

وانضم إمام أغلو، والذي انتخب في عام ٢٠١٩، إلى جبهة المعارضين لمشروع القناة، مشدّداً على أنه تهديد وجودي لمدينة إسطنبول. ذاك أنه سيؤدي إلى إبادة الموارد المائية لسكان المدينة، البالغ عددهم ١٦ مليون نسمة، ناهيك بتدمير طبيعة المقاطعة وجعلها غير قابلة للإصلاح وغير قابلة للحياة، إثر تدمير بحيرتين صناعيتين كبيرتين توفّران مياه الشرب لسكان اسطنبول، إضافة إلى تملح طبقات المياه الجوفية التي تشكّل مصدراً استراتيجياً للمياه العذبة. ويصف قناة إسطنبول بمشروع القتل، مؤكداً أنه مشروع كارثي ضد وجود ١٦ مليوناً وضد أمن ٨٢ مليوناً، وأنه خيانة بحق إسطنبول.

تهديد معالم أثرية عمرها ٨٥٠٠ عام

كما تعيد القناة، والتي يتوقّع افتتاحها عام ٢٠٢٣، رسم خريطة اسطنبول، إحدى أكبر المدن في أوروبا، إذ تحوّل شطرها الغربي إلى جزيرة، فيما شكّك خبراء، بينهم اتحاد الغرف التركية للمهندسين والمهندسين المعماريين في تركيا، في الحاجة لحفر القناة، وحذّروا من أن المشروع سيدمّر مواقع أثرية حول بحيرة كوتشوك شكمجه تعود تاريخها إلى ٨٥٠٠ عام، أي إلى حوالى ٦٥٠٠ قبل الميلاد، وتضم أقدم دليل على وجود الحيثيين في تراقية.

وتشير التقديرات إلى أن تحقيق أهداف ٢٠٢٣ الاقتصادية، التي وضعها نظام أردوغان، بما في ذلك قناة اسطنبول والاستثمارات المرتبطة بها، تحتاج إلى استثمار ٧٠٠ مليار دولار في إنشاء البنى التحتية، و٤٠٠ مليار دولار في المشروعات الحضرية. وتخشى المعارضة من أن التكلفة الضخمة للمشروع ستشكّل عبئاً على اقتصاد البلاد، ويتحمّلها المواطنون الأتراك، خاصة في ظل غياب خطط واضحة لكيفية تمويل المشروع، والأزمة الخانقة التي تعصف بالاقتصاد التركي.



فلتان الأسعار يرهق الأسرة الحلبية..

سنكري: تشديد الرقابة على الأسـ



البعث الأسبوعي- أيهم ناعسة

لا يختلف إثنان على أن صورة المشهد المعيشي وأوضاع معظم الناس أضحت قاتمة جداً، فالأسعار في ارتفاع جنوني مستمر، والفئات النقدية الرئيسية تدخل طور فقد قدرتها الشرائية، إلى جانب الركود غير المفهوم في معظم مفاصل وأساسيات عجلة الإنتاج بمختلف أنواعه ومجالاته، رغم الجهود الحكومية – غير المثمرة حتى الآن – لإنعاش الاقتصاد، ويتوج كل ذلك بغياب الضمير والوازع القيمي والأخلاقي بشكل كامل في عالم التجار وحيتان الأسواق، فالشفافية والصدق في التعاطي مع الأزمات المعيشية معدوم، والمبادرات الرسمية أو الأهلية أو المجتمعية خجولة كالرجل المريض الذي يعاني من سكرات الموت. ولاشك أن الحرب الاقتصادية والحصار الجائر لهما بالغ الأثر في تدني قيمة الليرة وتدهور الأوضاع المعيشية، لكن من غير المعقول ومن غير الأخلاقي أن يصبح معظم المتحكمين بالأسواق والاقتصاد في الداخل قياصرة حتى قبل أن يدخل القيصر الامريكي حيز التنفيذ، لدرجة أن المراقب للمشهد بأكمله يشعر وكأن أياد خفية تدفع الأوضاع نحو سياسة التجويع العام.. وحذار من الجوع، لأنه قد يأتي يوم لا تستقيم الأمور، كما لا ينفع معه منطق الصبر مفتاح الفرج!

وفي استطلاع لآراء بعض الناس في بعض أسواق حلب الشعبية (سوق باب جنين، سوق الرازي، سوق الأشرفية) عن الأسعار وحركة البيع والشراء، تبين وجود إجماع على أن حياة الأسرة السورية أصبحت صعبة جداً لجهة تأمين احتياجات الحياة اليومية حيث فاق ارتفاع الأسعار جميع التوقعات، وخاصة فيما يخص الضرورات الأساسية من المواد الغذائية والاستهلاكية، كما أشادت بعض الآراء بدور مؤسسات التدخل الإيجابي، لاسيما صالات السورية للتجارة، رغم أن هذا الدور لم يرتق إلى الآن لمستوى التحكم بحركة السوق، ولم يحدث الفارق الواضح بينها وبين بضائع السوق، بغض النظر عن المواد الغذائية المدعومة من قبل الحكومة. وحول التوقعات المستقبلية لجهة واقع الحياة المعيشية، افترضت الآراء السيناريو الأسوأ بحدوث مزيد من الارتفاعات على الأسعار بحيث يكون هناك فجوة كبيرة جداً بين واقع السوق والأسعار ومحدودية الدخل، وهناك آراء تنظر بإيجابية لإمكانية التحسن والاستقرار والانتعاش التدريجي.

ووسط هذا التباين في الآراء، ناقشت البعث الأسبوعي بعض المعنيين بالشأن المعيشي في حلب.

أحمد سنكري طرابيشي، مدير التجارة الداخلية وحماية المستهلك، أكد على حسن سير العمل التمويني في المحافظة وريفها، والعناصر تعمل بطاقتها القصوى على الرغم من وجود مصاعب متعلقة بنقص الكوادر والآليات، فمجموع المراقبين عن كامل حلب وريفها ٣٥ مراقباً تموينياً فقط، وحكماً هذا الرقم غير كاف وأغلب الدوريات تتم بطريقة راجلة وهذا يعني وجود جهد مضاعف ومتاعب كبيرة لتغطية القطاعات البالغ عددها ١٣ قطاعاً، حيث بلغ عدد الضبوط التموينية خلال النصف الأول من العام الجاري بحدود ٣ آلاف ضبط، منها ضبوط عينية، إضافة إلى الضبوط العدلية، ومنها مثلاً عدم الإعلان عن الأسعار، أو الامتناع عن البيع، أو البيع بسعر زايد.. وغيرها، والهدف الرئيسي يتجسد في حماية المستهلك وتحقيق التوازن المطلوب في عملية البيع والشراء من خلال تشديد الرقابة واتخاذ إجراءات مشددة بحق المخالفين، مبيناً أن الضبوط لا تمثل الحل السحري ولا تؤدي إلى الضبط التام للأسواق وتخفيض الأسعار وتحقيق التوازن المطلوب.

فمثلاً رغم عشرات الشكاوى والضبوط التي كانت تنظم بحق المخالفين من مشغلي الأمبيرات، أسعارهم لم تخفض، وبقيت المشكلة قائمة، لذلك لابد من تعديل القانون رقم ١٤ لعام ٢٠١٥، لجهة أن تكون العقوبات شديدة ورادعة وذات جدوى.

وعن واقع الأفران العامة والخاصة ومدى توفر رغيف الخبز الجيد، لاسيما بعد تطبيق تجربة توزيع الخبز عبر البطاقة الإلكترونية في دمشق وريفها، حيث تم توفير ٩٠ طن طحين يومياً، وحيث يسيل لعاب الكثيرين من أصحاب الأفران وغيرهم على الطحين المدعوم من قبل الدولة، إذ تحصل الأفران على طن الطحين المدعوم بـ١٨ ألف ليرة ويصل سعره في الأسواق غير النظامية إلى أكثر من ٣٠٠ ألف، ما يفتح الباب واسعاً أمام التهريب والتلاعب، وحالياً يوجد مقترح لتوزيع مادة الخبز عبر البطاقة الإلكترونية والمعتمدين بحسب عدد أفراد العائلة لمنع التلاعب والاتجار بالمواد المدعومة، ويتم حالياً تشكيل قاعدة البيانات في محافظة اللاذقية، من خلال التعاون بين المحافظة ومديرية التجارة الداخلية، وفي مرحلة لاحقة في محافظة حلب.

وبيّن طرابيشي: بشكل عام، تشهد حلب نوعاً من التوازن في



ـــواق والتشدد في العقوبات!





مادة الخبز، وكمية الطحين المخصصة للمحافظة هي ٦٢٥ طن يومياً، وهي – حسب الواقع – كمية غير كافية. ومن هنا، الأولوية تتركز على تشديد المراقبة على حركة سير الطحين على الأفران العامة والخاصة، والبالغ عددها ١٧٠ فرناً، ومكافحة التهريب والتلاعب، وعندما يحصل الفرن على طن طحين سوف يعطي بالمقابل ٩٢٥ ربطة خبز، وعندما تتم عملية الضبط الدقيق للطحين يمكن ببساطة ضبط المواد المدعومة الأخرى (المازوت والخميرة)، وحالياً يمكن الاعتماد على عدد من المعتمدين في المناطق البعيدة التي تفتقر للأفران في إيصال المادة إلى الأهالي.

وفي إطار توسيع دائرة التحرك لمؤسسات التدخل الإيجابي، أشار طرابيشي: يتم التحرك في الاتجاه الصحيح، ونعمل لأن تؤدي صالات السورية للتجارة في المستقبل دورها على أكمل وجه وأن تكون منافساً كبيراً في السوق، وتحتل مكانة التاجر الأقوى والأكثر تأثيراً، وذلك من خلال تغذيتها بمواد غذائية واستهلاكية عالية الجودة ومطابقة للمواصفات القياسية السورية وطرحها للبيع ضمن هامش ربح صغير، بالتالي تكون أسعارها أقل من السوق بحدود ٢٠ – ٣٠٪.

وفيما يخص سلامة الغذاء، شدد طرابيشي على عدم التهاون بهذا الصدد، لأن سلامة الغذاء موضوع أساسي وحيوي وخطير كونه يهدد بشكل مباشر الصحة والسلامة العامة. وفي هذا الشأن، يلعب وعي المواطن دوراً بارزاً في كشف مواقع المواد الغذائية الفاسدة أو المواد منتهية الصلاحية، أو مجهولة المصدر، وقد جاء القانون ١٤ لعام ٢٠١٥، الخاص بحماية المستهلك، بعقوبات شديدة.

ودعا طرابيشي لتعزيز ثقافة الشكوى التي تساعد كثيراً في ضبط السوق ومحاسبة المتلاعبين، وتكون الشكوى إما بالاتصال على الرقم ١١٩، أو بالتصاريح الخطية لأن المستهلك هو المتضرر الأول في حال عدم الشكوى، فضلاً عن تكاملية العمل التمويني.. مثلاً، يدخل المراقب التمويني إلى محل تجاري يكون صاحبه ملتزماً وضع أسعار النشرة التموينية، لكن عند البيع لا يلتزم بهذه الأسعار، ويبيع بأعلى.. في هذه الحالات، نحن – كجهة مراقبة – نحتاج إلى شكوى لأن المواطن هو الشريك الأول في ضبط الأسواق، مع التأكيد على أهمية المراقبة الإلكترونية عبر الكاميرات للمفاصل الحيوية (المطاحن، المحروقات، الأفران.. إلخ)، والعمل التشاركي للوصول إلى التوازن الإيجابي في السوق، وفي عملية العرض والطلب وتوفير الاحتياجات والضرورات الأساسية.

وضمن واقع فوضى الأسعار، حققت السورية للتجارة قفزات مهمة وحضوراً كبيراً لناحية توفير المواد الضرورية الغذائية والاستهلاكية عبر صالاتها ومنافذها وبأسعار منافسة، رغم وجود بعض التباين بين الصالات، وذلك حسب توسطها المدينة، حيث تزخر بالمواد والبضائع بمختلف أصنافها وأنواعها، أما صالات المناطق البعيدة فتفتقر لهذا الكم والتنوع، وقد تفتقر إلى الالتزام ووضوح الأسعار.

وفي مضمار توضيح دور مؤسسات التدخل الإيجابي، بين عبد الحميد مسلم، مدير فرع السورية للتجارة بحلب، أنه ضمن الظروف السائدة من ارتفاع الأسعار وتدني مستوى الحياة المعيشية، يتم التوجه نحو تأمين المواد الأساسية من خلال اعتماد أسلوب الاستجرار المباشر، بمعنى بناء علاقة مباشرة ما بين الصناعي أو المستورد أو التاجر مع المؤسسة بهدف اختصار حلقات الوساطة ووصول المواد إلى الناس بأرخص الأسعار وجودة عالية.

وفيما يخص تقاسم وتحمل المسؤولية المجتمعية في زمن الأزمات، انتقد مسلم الصناعيين والتجار وأصحاب رأس المال بسبب عدم قيامهم بدورهم الاجتماعي المطلوب، رغم أنهم يعتبرون جزءاً رئيسياً في عملية التنمية الاقتصادية، لكن في المناسبات التي تتضمن مكاسب ومنافع وأرباحاً، وبروظات تجدهم في الصفوف الأولى.

وحول واقع الصالات ومنافذ بيع السورية للتجارة في حلب والخطط المستقبلية، أشار مسلم إلى أن عدد الصالات هو ٦٢، بواقع ٥٧ مدينة و٥ ريف، وهناك خطة لافتتاح وتفعيل ١٣ منفذ بيع خلال ٣ أشهر في الريف الغربي المحرر، والذي يضم تجمعات سكانية، ومنها العيس، والزربة، وحريتان، وعبطين، واورم.. وغيرها.

وعن آلية توفير البضائع في الصالات، يوضح مدير فرع الموسسة: نحصل على البضائع من خلال نظام توريد بالأمانة وبأسعار مدروسة أقل من أسعار السوق بنسبة تزيد عن ١٠٪.

وحول المواد المدعومة وإجراءات توزيعها عبر البطاقة الإلكترونية، أكد مسلم أنها تباع بأسعار مدعومة بفارق كبير عن السوق، وهي أسعار ثابتة بواقع ٣٥٠ لكيلو السكر و٤٠٠ لكيلو الرز، وتقوم الجمعيات التعاونية بالدور الداعم والمساعد نفسه، ويوجد ٢٦ جمعية تعاونية، فضلاً عن توزيع أجهزة القراءة إلى البلديات والمنظمات، ومجموع المنافذ التي تقوم بالتوزيع اليومي والمباشر للمواد المدعومة يتجاوز ١٥٥ منفذ بيع.

ومن ناحية التسعيرة ضمن الصالات، يوضح مسلم: الصالات تلتزم بأسعار النشرة التموينية الصادرة عن مديرية التجارة الداخلية وتخضع لرقابتها، ومعظم المواد والبضائع تشتريها الإدارة وتأتي مسعرة، وباقي المواد تسعّر على قاعدة أسعار الشراء زائد هامش ربح بسيط لتغطية النفقات، والأسعار الجديدة تحاكي حركة السوق كون التجار مصدر الحصول على البضائع، أما المواد المدعومة فتأتي من الحكومة.

من يعيث فساداً بالاقتصاد؟

ينبع هذا التساؤل العريض من مفرزات طالما أوحت بشكل أو بآخر رغم تواضعها – بامتلاك الاقتصاد السوري مقومات ذات أبعاد تنموية، ينقصها التوظيف الاستثماري السليم المعتمد بالدرجة الأولى على الإدارة الحكيمة والإرادة الجدية..!

الأمثلة، بهذا السياق، أكثر مما تعد، فما ينتاب منتجات القطاع الزراعي، بشقيه النباتي والحيواني، من تدن في الإنتاج بحيث لا يكفي حاجة السوق المحلية موسماً، ووفرته موسماً آخر، ما هو إلا مؤشر على عدم التخطيط الاستثماري السليم الذي ينعكس بتداعياته السلبية، سواء لجهة تذبذب دخل الفلاح بين الخسارة والربح، أم لجهة ارتفاع أسعار هذه المنتجات بالنسبة للمستهلك في حال ارتفاعها نتيجة تدني الإنتاج وعدم كفايته لحاجة السوق المحلية.. ما يعني أن القطاع الزراعي هو أحد روافع الاقتصاد السوري إلا أن القائمين عليه لم يتقنوا قيادة دفته للأخذ بيده لتحقيق القيم المضافة الكفيلة بتحقيق أكبر قدر من الإيرادات لصالح الناتج الإجمالي..!

وإذا ما عرجنا على القطاع الصناعي، فسرعان ما نصطدم بترهل قطاع لا يزال يخطو متثاقلاً في ظل عدم وجود خارطة استثمارية واضحة المعالم تحدد تموضع الصناعات، خاصة الغذائية منها، حسب كل منطقة، ووفق ما تتمتع به من مقومات، مع الإشارة هنا إلى ما يزخر به هذا القطاع من إمكانيات تتصدرها القوى البشرية والكادر المؤهل، يضاف إليهما الملاءة المالية لعديد المستثمرين، علماً أن منتجات صناعية سورية عديدة غزت أكبر اقتصادات العالم، كالألبسة والصناعات الغذائية، التي بدأت تشهد انحساراً يهدد وجودها..!

أما القطاع التجاري، فإن الاستيراد – على ما يبدو– هو همه الأوحد، إذ أن القائمين على اتحاد غرف التجارة السورية قد ألغوا «التصدير» من قاموسهم التجاري، وزجوا كل طاقاتهم باتجاه «الاستيراد»، تحت ذرائع وحجج من قبيل ضرورة تأمين احتياجات البلاد في ظل ما تعانيه من عقوبات!! ومع إقرارنا بهذه الحيثية وأهميتها، إلا أنه لا يجوز تغييب التصدير كركن أساسي من الأركان الداعمة للاقتصاد السوري..!

ومن المقومات الداعمة للاقتصاد السوري، غير الموظفة بالشكل الصحيح أيضاً، السياحة التي لم يتم الاشتغال عليها بما يلبي الطموح، إذ لم تستطع وزارة السياحة الوصول إلى صناعة السياحة بما يحقق إيرادات بالقطع الأجنبي بمستوى ما تنعم به سورية من مناطق سياحية وأوابد تاريخية.. وهنا، نتحدث عن أوقات الرخاء، وليس عن سنوات الأزمة العجاف، فما بالكم والحال الذي نمر به في ظل تفشي وباء كورونا..!

هذا غيض من فيض تواضع مفرزات مقومات عدة يتمتع بها الاقتصاد السوري، يفترض أن تكون على درجة أكبر من الكم والنوع؛ ونعتقد أنه في حال أسقطنا «الإدارة والإرادة» – الموما إليهما آنفاً – على منتج القطن فقط فسوف يحدثان فارقاً يفوق التوقعات لجهة الاستفادة القصوى من هذا المحصول، خاصة إذا ما علمنا أن سورية كانت تنتج ٧٠٠ ألف طن قطن في العام قبل الأزمة، بمردود مالي يقدر بمليار دولار ما بين تصدير وبعض التصنيع البدائي، في حين أن القيمة المضافة لتصنيع القطن، من محبوب إلى محلوج إلى خيوط إلى نسيج ومن ثم ألبسة، تعادل ٨ أضعاف قيمته الأولية، بمعنى أن الكغ الواحد من القطن المعادل قيمته وقتها دولاراً واحداً فقط ينتج ٥ كنزات «تي شيرت» ثمنها ٨ دولار.!

هذا فضلاً عن مخلفات القطن التي كان يتم حرقها أو قلعها، والتي كان يمكن أن تنتج ٥ مليون طن خشب MDF نستورده من الخارج بقيمة ٢ مليار دولار، بالإضافة إلى الميرسيليزيه المستخدم كعلف للحيوانات بما يعادل مليار دولار..!

أي أن هناك ثروة ضائعة بقيمة ١١ مليار دولار كانت تذهب هباء منثوراً، هذا على صعيد محصول واحد فقط، فما بالكم في حال الحديث عن بقية المحاصيل الزراعية والمكونات الاقتصادية الأخرى، فالرقم سيتعدى ذلك بأضعاف – أغلب الظن – ستكون مضاعفة.. ولعل ما ينسحب على التعاطي مع حيثية القطن كإحدى حيثيات القطاع الزراعي، ينسحب على كل القطاعات الأخرى وحيثياتها كافة..!

حسن النابلسي

المواطــن محاصــر

بين سيزر وســعار الأســعار وكورونا..!!



البعث الأسبوعي- كنانة علي

يأتي السيناريو الجديد للحرب على سورية والمتمثل بسياسة التجويع والحصار والمقاطعة بلبوس القانون الكسيح «قيصر»، ليكمل سنوات الحرب العسكرية بمعركة اقتصادية معيشية بحتة راحت تضرب أطنابها في عمق الحياة اليومية وفي صميم لقمة المواطن ودوائه ومستلزمات صموده وهو الخارج من طاحونة التدمير والقتل بهدية صاعقة من قبيل «سيزر الأمريكي» الذي يدعي أنه يستهدف الدولة والكيانات والأفراد والهيئات، في حين تظهر كل المؤثرات والانعكاسات على مواطن وضعه الأعداء في وجه المدفع يقارع الموت بإرهاب أعمى وبالقلة المتعبة في أذرع تخنق ببطء بدخان حرائق تحصد المحاصيل والأرزاق وسلوكيات تضرب الليرة في مقتل والقطاعات الإنتاجية والخدمية في مصير مجهول.

لاشك أن ما يحصل من وقائع اقتصادية تتعلق بسعير الأسعار وربط كل ما يوجد بالأسواق من مواد ومنتجات بتحليق الدولار يظهر مدى الوضع المتأزم الذي وصل إليه المجتمع المحلي بكافة شرائحه ووقوعه بين نيران الإجراءات الأمريكية التي تتناول عقوبات اقتصادية ومالية ومصرفية تستهدف بشكل أساسي عملية إعادة الإعمار، وتجار يشتغلون من الداخل في سياق زعزعة الاستقرار وضرب الاقتصاد الوطني، في وقت تأتي تجليات جائحة كورونا لتزيد الطين بلة.

ندرك أن الوضع المعيشي لغالبية السوريين يدخل ضمن خط الفقر، كما أن غالبية المواطنين يعملون بقوتهم اليومي، ومع الإجراءات الحكومية لجهة فرض حظر التجول، ومنع التجمعات وتقيد الحركة بين المحافظات، عمقت آلام الكثيرين، رغم إدراكهم أن كل هذه الإجراءات هي في صالحهم، فالدولة التي عانت على مدى تسع سنوات من حرب بعناوين ومفردات كثيرة، تمكنت حتى اللحظة من الحد من ظهور هذا الوباء على أراضيها، نظراً لحالة الحرب، فإن الأراضي السورية لا تستقبل الكثير من الوفود الدولية والإقليمية، إلا في الأطر الضيقة، وبالتالي هناك حركة محدودة للقادمين من الخارج.

وسورية شأنها شأن الكثير من الدول، اتخذت إجراءات وقرارات مانعة لتفشي الفيروس، لا سيما القادمين مع اتخاذ أقصى الإجراءات الطبية الوقائية، ما ساهم في الحد من تفشي الفايروس، مع حجر الإصابات التي يُشك بها، ريثما تتضح الحالة الصحية للشخص المُصاب، ومع ذلك لا يمكن نفي معاناة المواطن من إجراءات الحصار الاقتصادي ضده، مع استمرار الحرب عليه بات يُعاني أيضاً من ضائقة اقتصادية خانقة، وهذا الأمر لا ينفي مسؤولية الحكومة عن التقصير في بعض تفاصيل هذا الواقع، على الرغم من توجيهات السيد الرئيس المتعلقة بتحسين معيشة المواطن، والعمل على تقديم خدمات جيدة بل وممتازة في أغلب المجالات، إلا أن البيروقراطية والفساد هما من أكثر العوامل التي عمّقت أزمات المواطن، حتى بات بين سندان الحروب عليه وتداعياتها الاقتصادية، ومطرقة الإجراءات الحكومية التي لم تُعدل مستوى الحياة.

في هذا الإطار يمكن القول أن الدولة ورغم فقدان الكثير من مقومات الاقتصاد، إلا أن الكثير من الخدمات لا تزال تُقدم، ولا زال الدعم الحكومي يُقدم لقطاعات عديدة، وإلا ما تفسير صمود الشعب رغم سنوات الحرب عليه.

أزمات كثيرة تعصف بالمواطن جراء الحرب من جهة، والآن بسبب كورونا والحصار والمقاطعة من جهة ثانية، فغلاء الأسعار قارب مستويات قياسية رغم توفر الكثير من المواد الغذائية محلياً، ويتم تصنيعها أيضاً محلياً، ولا حاجة لاستيرادها فهي إنتاج محلي، ولذلك لا يُمكن السماح لبعض التجار أن يقومون باستغلال الوقائع المستجدة، حيال رفع أسعار غالبية المواد الغذائية والخضروات، ولا بد من وضع النقاط على الحروف والقول صراحة، أن هناك تقصير حكومي واضح في مواجهة غلاء الأسعار، حتى بات لسان حال المواطن يقول، أنه خلال سنوات الحرب والإرهاب، لم تصل تطورات الأوضاع إلى هذا الحد من غلاء وتفشي الفساد الذي بات أخطر وأفتك من فيروس كورونا.

وما بين الإجراءات الحكومية الصارمة، وبين حال المواطن لجهة غلاء الأسعار، وتدني مستوى المعيشة بشكل عام، وإجراءات الحظر، حري الاهتمام أكثر بحال المواطنين، خاصة أن معظمهم فقد بيته ومكان عمله ووظيفته جراء الإرهاب، وبات يعمل بشكل يومي لتأمين قوت يومه، ودفع مستحقاته الشهرية، واليوم توقفت الأعمال جراء إجراءات مواجهة كورونا، وبات المواطن بين نارين، تأمين قوت يومه من جهة، والخوف من تفشي فيروس كورونا من جهة أخرى.

ويعتبر الدكتور حيان سلمان معاون وزير الكهرباء خبير اقتصادي – أن قانون قيصر هو إرهاب اقتصادي بشكل مباشر، لتناقضه مع ميثاق الأمم المتحدة في المادة ٣٩ و٤١ الناظمة لكيفية فرض العقوبات الاقتصادية على أي دولة تهدد الأمن والسلم العالمي، والقانون ليس له مرجعية حقيقية لأنه عبارة عن منشق سوري وعميل صور حوالي ٥٥ ألف صورة ومرجعياته لا يجب الأخذ بها، وتم تجاوز هذا الموضوع من حيث الإطار الشكلي.

وفي معرض الحديث عن تأثير قانون قيصر على الاقتصاد المحلي قال سلمان: بالتأكيد سيؤثر القانون على الاقتصاد السوري وعلى الدول والشركات التي تريد التعامل مع سورية، فكل العالم شاهد معرض دمشق الدولي بحلته الأخيرة لعام ٢٠١٩ والاستقدام الكبير للشركات الأوربية والغربية وغيرها، وهناك ما يكفي من روسيا والصين وبعض دول الجوار والاتفاقيات مع شنغهاي والبريكس وغيرها، وأمريكا لم تعد قادرة في ظل كسر الاقتصاد الأمريكي في فنزويلا وإيران التي وصلت سفنها وطائراتها إلى فنزويلا وروسيا والصين.

وهنا حري الحديث عن إعادة الإعمار الذي بدأ بالتوازي مع المشاريع الاقتصادية على الأرض في سورية التي انتصرت على الحرب سياسياً وعسكرياً بحقولها ومواردها الذاتية والاعتماد على الذات والخبرات الوطنية، وكمثال عملي ما قام به العمال في وزارة الكهرباء من إصلاح محطة كهرباء بانياس، وبالتالي توفير عشرات الملايين من الدولارات وكله بخبرات وموارد ذاتية وهناك محاولات عديدة من عدد كبير من القطاعات.

وفي سياق الكلام عن الآثار البنكية والمصرفية يضيف معاون وزير الكهرباء- شكلت لجان وطنية سورية خاصة في البنك المركزي لإعادة النظر في السياسة النقدية والمالية، وهناك وفود ولجان عمل حكومية خاصة ومجتمعية للتعامل مع الزراعة التي وضعت خارطة للاستثمار فيها، مع ذلك من وجهة نظر سلمان- يجب عدم وضع هذا الإرهاب الاقتصادي كشماعة وتعليق عليها كل الأمور، وخاصة باللغة الرقمية أن حجم التجارة الخارجية مع أمريكا محدود جداً ولا يتجاوز ٥٠٠ مليون دولار قبل الحرب.

من جهته الدكتور زكوان قريط رئيس جامعة الاتحاد الخاصة وعضو الهيئة التدريسية في كلية الاقتصاد أفاد في تصريح خاص للبعث: كنا نعلم بتطبيق قانون قيصر مسبقاً وكان يجب التنبؤ بارتداداته السلبية على الوضع الاقتصادي في البلاد، وخاصة من حيث تأثيره على سعر صرف الليرة مقابل الدولار، كما أنه بالأساس هناك حصار حتى قبل تطبيق قانون قيصر، ولكن بعد صدوره بشكل رسمي أعطى ذلك ارتداد نفسي لدى المواطنين بأن الحصار قد بدأ ولكن الحصار كان قبل التوقيع على القانون.

من جهتها الحكومة تعلم توقيت التوقيع وسريانه وكان يجب الأخذ باحتياطات على مبدأ «خبي قرشك الأبيض ليومك الأسود» مع الاستعداد نفسياً واقتصادياً وتهيئة الأرضية وتقديم الارتياح الشعبي، وللأسف أتى تطبيق القانون وتم التأثر به والدليل انخفاض سعر الليرة مقابل الدولار، إضافة لكثرة الشائعات وارتفاع الأسعار على أرض الواقع. لذا من الممكن أن تكون الخطة التي وضعتها الحكومة لم تكن بالمستوى المطلوب.

وبرأي الدكتور قريط أن هناك فترة شهرين أو ثلاث ليأخذ ارتداد القانون وما آثره نفسياً على الشارع وإذا تدخل المصرف المركزي والفريق الاقتصادي لابد من عودة الأمور تدريجياً لما كانت عيه قبل قانون قيصر وعودة الدولار للاستقرار على عتبة ١٥٠٠ لفترة ما، والتراجع لما دون ١٠٠٠ وذلك بعد اضطرار المركزي لرفع التداول للتقليل من الفجوة بين سعر السوق والسعر الرسمي وامتصاص السوق السوداء وهي خطوة ذكية.

وأبدى قريط تشاؤم من ارتفاع أسعار المواد في الأسواق، حيث أن الأسعار لن تنخفض قريباً وتحتاج لوقت لحين استقرار الوضع الاقتصادي والنفسي.

وهناك حلان – بحسب قريط – الأول سريع وهو اللجوء للاستدانة والاستعانة بالدول الصديقة، والحل الثاني بعيد المدى وهو الأفضل يتمثل بالاعتماد على الذات والاهتمام بالموارد وبالزراعة أولاً، لأن سورية بلد زراعي بامتياز والاهتمام بزراعة القطن والحمضيات وغيرها لدعم الاقتصاد ومنع الاستيراد بتاتاً إلا للمواد الضرورية مع وضع قوانين صارمة بهذا الخصوص.

الحمضيات السورية.. قصة إبريق الزيت غير المكلف والاكتفاء الذاتي المسفوح!



البعث الأسبوعي- سنابل عدنان سلمان

لم تق زراعة الحمضيات السورية التي استطاعت أن تحتل سمعة جيدة في الأسواق المحلية والعالمية، بسبب النوعية الممتازة والأسعار المنافسة، المزارع من لعنة ضعف القدرة الشرائية للاحتياجات الزراعة وارتفاع تكاليف الإنتاج من (سماد – مبيدات – معدات سقاية وغيرها..)، فالعديد من الفلاحين يعتمدون على موسم الحمضيات، كموسم أساسي لتلبية احتياجات أراضيهم خلال الموسم، فعند خسارة الفلاح لهذا الموسم سيُجبر أن يكمل المتبقي من العام بالاستدانة دون أي عون له، ورغم إعلان وزارة الزراعة عن مبادرات لدعم الفلاحين، فإنها لم تساعد بشكل فعلي في حل أي مشكلة تخص ارتفاع تكاليف الإنتاج الزراعي.

التكلفة زهيدة

ويؤكد مدير مكتب الحمضيات في وزارة الزراعة المهندس سهيل حمدان أن العناية بالأراضي المزروعة بالحمضيات غير مكلفة – بل وأكد – أن تكلفة الكيلو الواحد لا تتجاوز ٧٠ ليرة، ضمن أراض الفلاح عندما يلتزم بتعليمات وزارة الزراعة، كما وجه حمدان نصيحته للفلاحين بعدم الاستعجال بالقطاف أو ضمان الأرض، لأنه وبحسب دراسة الواقع ستكون الأسعار جيدة ومرضية الفلاح، علماً أن الفلاح يواجه العديد من الأزمات التي باتت تهدد هذا القطاع وعلى رأسها غلاء مدخلات الإنتاج، بالإضافة إلى تجاهل مساندة الفلاح في تسويق المحصول ليقع فريسة بيد التاجر.

٣٠٪ دعم

من جهته أوضح رئيس اتحاد الفلاحين في اللاذقية حكمت صقر أن الفلاح يعاني من غلاء في أسعار المبيدات الحشرية التي أصبحت فوق القدرة المادية للفلاح وأن كمية الأسمدة كانت قليلة وتأخرت عن مواعيدها بالوصول، وأسعارها كانت مرتفعة جداً، ولكن تم دعم أسعار الأسمدة بنسبة ٣٠٪ لصالح الفلاح، مؤكداً أن هذا الدعم انعكس بشكل إيجابي على الفلاح، ودعا صقر كافة الفلاحين إلى التوسع في الزراعات من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي في ظل هذا الارتفاع اللا متناهي في الأسعار.

تحلق عاليا

في استطلاع البعث الأسبوعي للآراء أجمع عدد من الفلاحين بأن المستلزمات الزراعية أصبحت فوق طاقتهم المادية، حيث أصبح سعر حراثة الدونم الواحد ١٤ ألف ليرة، والأسمدة الزراعية ارتفعت إلى نسبة أكثر من ١٠٠ ٪(إن توفرت)، والأدوية الزراعية والمبيدات أيضاً زادت خلال ٣ أشهر ٤٠٠٪ والأسمدة في القطاع الخاص خارج قدرة الفلاح، إضافة إلى نوعيتها السيئة وعدم خضوعها إلى الرقابة.

وأكد البعض بأن سعر الصندوق الفارغ وصل إلى ٦٠٠ ليرة، واشتكى البعض من أجور نقل المحصول التي أصبحت مرتفع للغاية، وأن الأسعار أصبحت لا تتناسب إطلاقا مع التكاليف، كل هذه العوامل أدت إلى ضعف وفقر منتجي الحمضيات، حيث بدأوا يبحثون عن أعمال أخرى لتأمين لقمة العيش.

الدعم غائب

في ظل الأزمات جاءت أيضا أزمة كورونا وارتفعت أسعار المواد كافة والليمون الحامض خاصة نتيجة تهافت المستهلكين وبالأخص مع نقص تواجده في السوق بسبب احتكار التجار له وتخزينه لزيادة سعره، في ظل هذا الاحتكار أين دور الدعم الايجابي للمواطن (السورية للتجارة)، ليتجاوز المواطن هذه الأزمة، هل كان من الصعب عليها تخزين كميات من الليمون الحامض وطرحه بالأسواق بأسعار مقبولة أو حتى إعطاءه للمواطن عبر البطاقة الذكية بسعر يتناسب مع الوضع المعيشي.

أمل لم يتحقق

أُطلقت العديد من الوعود بشأن معمل عصائر، ليتعافى موسم الحمضيات خاصة في الظروف الحالية التي تمر بها سورية، وبالأخص أن سورية بلد يأكل مما ينتج منذ عقود طويلة، ولكن كانت وعود في الهواء لم ير المواطن منها شيء، وكل الدراسات تؤكد أن مستقبل البلاد في أرضها التي تكاد تنتج كل شيء وعملياً لديها كل المحاصيل الزراعية، ولتحافظ على ما لديها وتطوره لابد من تشجيع الفلاحين ومساندتهم والاهتمام بتوفير المستلزمات الزراعية بأسعار مقبولة تناسب وضعهم المعيشي.



كورونا حلب.. جشع واس
والصيدليات و١٥ ألف س






حلب ـ معن الغادري

حتى اللحظة لا توجد إحصائية نهائية عن عدد الإصابات والوفيات بفيروس كورونا، إلا أن المؤكد أن الوباء في حالة انتشار.. بل انفجار، أفقياً وشاقولياً. والمؤكد أيضاً أن المشافي ومراكز العزل العامة والخاصة ممتلئة بالمصابين، وهي عاجزة عن استقبال أي مريض جديد في ضوء تزايد عدد الإصابات وارتفاع عدد الوفيات الناتجة عن الإصابة بالفيروس.

ولعل الأكثر خطورة هو سوء إدارة هذه الأزمة الصحية من قبل المعنيين وخلية الأزمة المعنية بالتصدي لفيروس كورونا، فعدا عن الإجراءات الاحترازية الخجولة المتخذة وغياب المتابعة الجدية لتطبيق القرارات الحكومية، انتقلت عدوى الجشع والاستغلال والاحتكار من تجار وحيتان الأسواق إلى أصحاب معامل الأدوية والصيدليات ومصنعي الكمامات والمواد المعقمة والكحول، وغيرها من متعلقات الأزمة، إضافة إلى استغلال أصحاب النفوس المريضة والجشعة من الأطباء والمشافي الخاصة، حيث بلغت كشفية الطبيب في حلب، ولمدة لا تتجاوز خمس دقائق، أكثر من ٥٠ ألف ليرة، فيما يتقاضى المشفى الخاص حوالي ٢٥٠ ألف ليرة في اليوم الواحد كمنامة تتضمن فقط أجور تركيب جهاز التنفس الاصطناعي.



إصابات يومية

ارتفاع الإصابات ليصل أحياناً إلى ١٠٠ إصابة، أو ربما ضعف هذا العدد، يومياً، مؤشر خطير جداً يؤكد وبما لا يدع مجالاً للشك والاجتهاد انفجار هذا الوباء وانتشاره على نطاق واسع، ما يستدعي تدخلاً على مستوى الدولة ومؤسساتها كافة لوقف هذا التمدد الخطير، والذي ما كان ليحدث لولا أسباب عدة منها ضعف الإمكانات المتاحة وعدم توفر الأماكن الكافية المخصصة لإجراء حالات الحجر والعزل الصحي، وفقدان الأدوية من الصيدليات وإسطوانات الأوكسجين من المعامل ومراكز البيع المباشر، وغياب الوعي لدى المواطن في اتخاذ إجراءات الوقاية، إضافة إلى العديد من الأمور المتعلقة بمهام خلية الأزمة وجدية تطبيق قراراتها الصادرة عنها وعن وزارة الصحة بمنع التجمعات وإغلاق المتنزهات والأماكن العامة وإيقاف الأنشطة المختلفة ومراقبة وضبط الأسواق، وتطبيق إجراءات التباعد المكاني على أبواب الأفران ومنافذ بيع السورية للتجارة، والقيام بعمليات التنظيم والتعقيم اليومية للشوارع والساحات والمرافق العامة والأحياء الشعبية على وجه التحديد، وهو ما يشكو منه المواطنون عامة، والذين وجدوا أنفسهم بين مطرقة ومحرقة عدم قدرتهم على تأمين الحد الأدنى من مستلزماتهم واحتياجاتهم، لغلائها أو لفقدانها من الأسواق، وبين سندان الوجع والألم والخوف والهلع من الإصابة بفيروس كورونا.

ضربة حظ

رحلة الاستشفاء من الوباء في المشافي العامة أو الخاصة أشبه بضربة حظ، الفارق بينهما أن المشافي العامة لا تتقاضى أجراً على خلاف المشافي الخاصة التي نزعت عنها رداء الإنسانية وأطلقت العنان لجشعها مستغلة المرضى وذويهم وحاجتهم الماسة للعلاج هروباً من الموت العاجل.

ابن أحد المرضى ينتظر على باب المشفى، يقول: وجدت صعوبة بالغة في تأمين سرير لوالدي المصاب، ولم أهتم في البداية مطلقاً لقيمة الأجور، وكان همنا فقط في ان يخرج والدي سليماً من هذه الأزمة، ولكن فوجئت وصدمت بحجم ما يتقاضاه المشفى عن الليلة الواحدة، ما دفعني إلى الاستدانة من أقاربي وأصدقائي لسداد فاتورة المشفى.

منتظر آخر أوضح أنه يعرف مسبقاً كلفة العلاج الباهظة في المشفى، ولكن لا خيار آخر أمامه فالمشافي ومراكز العزل والعلاج العامة ممتلئة عن آخرها.

سيدة في مقتبل العمر، والدتها تعالج في المشفى نفسه، أشارت إلى أنها اضطرت إلى بيع مصاغها لدفع تكاليف علاج والدتها وهي غير نادمة، فالمهم أن تنجو والدتها من هذا الوباء.

معظم شهادات من التقيناهم أشاروا إلى حالة الجشع والاستغلال التي يمارسها البعض لتحقيق أكبر إفادة ممكنة من هذه الجائحة، مشيرين إلى أن الكثيرين تخلوا عن واجبهم الإنساني والأخلاقي والاجتماعي، متسائلين عن أسباب غياب الجهات المعنية والمسؤولة وعدم القيام بالمهام المنوطة بها لجهة مراقبة عمل المشافي والصيدليات التي تحتكر الدواء وتحجبه عن المحتاجين وتبيعه بأسعار باهظة جداً وبخمسة أضعاف سعرها الحقيقي، وتحديداً الكمامات والكحول وأدوية علاج فيروس كورونا أزيتروما يسين ٥٠٠، وزنك عيار ٥٠، وفيتامين C فوار. ويناشد المواطنون وزارة الصحة لتوفير وتأمين هذه الأدوية في الأسواق، كما يطالبون نقابة الأطباء والصيادلة بالتدخل الفوري لمراقبة عمل المشافي والصيدليات، ومحاسبة المسيئن والجشعين قبل أن يخطف كورونا المزيد من الأرواح.

ـــستغلال في المشافي الخاصة
ـــعر عبوة فيتامين (سي)



وضع صحي متفاقم

أحد الأطباء من العاملين في أحد المشافي – فضل عدم ذكر اسمه – وصف الوضع الصحي في حلب بالخطير، مشيراً إلى أن الأمر قد يخرج عن السيطرة إن لم تسارع كافة الجهات في التعاون للتصدي لهذا الوباء الخطير.

وبين الطبيب، الذي يعمل بمعدل ورديتين يومياً، أن الإمكانات المتاحة وما يتوفر من تجهيزات وأدوية في المشافي العامة والخاصة لا تكفي لمواجهة هذا الوباء الذي ينتشر بسرعة، داعياً إلى أخذ الحيطة والحذر وإلى تقيد المواطنين بالتعليمات والإجراءات الصحية وارتداء الكمامة وعدم الخروج من المنزل إلا للضرورة، والابتعاد عن التجمعات وتطبيق إجراء التباعد المكاني.

وأضاف: نعمل كل ما بوسعنا لمواجهة هذا الوباء ومعالجة المصابين، ونتمنى على الجهات المعنية بالتصدي لفيروس كورونا التوسع في تخصيص مراكز العزل وتأمين أجهزة تنفس اصطناعي والأدوية المطلوبة.

جهود منقوصة

على مسافة قريبة، كانت ورشات وفرق مجلس مدينة حلب تقوم بعمليات التنظيف والتعقيم لبعض الشوارع والأحياء، بينما تشهد الأسواق ووسائط النقل وباصات النقل الداخلي والسرافيس ازدحاماً كبيراً وعدم تقيد بالحد الأدنى من الإجراءات، كارتداء الكمامة، ما يفرغ كل حملات النظافة التي يقوم بها مجلس المدينة من محتواها وأهميتها.. وهنا يكبر السؤال حول أسباب تراخي مجلس المحافظة وخلية الأزمة في تطبيق قراراتهما، وترك الأمور على هواها تنزلق نحو الهاوية أكثر فأكثر في كافة المفاصل وفي الأماكن العامة والمتنزهات والمحلق الجنوبي من المدينة وفي المؤسسات ذات الطابع الخدمي.

وعي متأخر

العدد اليومي المتزايد للإصابات أشعر المواطنين بمختلف فئاتهم العمرية بالخطر الداهم، ما دفعهم إلى أخذ الحيطة والحذر والابتعاد عن التجمعات وعدم الاختلاط، إلا أن هذا الوعي المتأخر لم يخفض من عدد الإصابات اليومية، والتي تقدر كمعدل وسطي بحوالي ٥٠ اصابة يومياً، وفق إحصائيات المشافي التي تستقبل المرضى، وهي إحصائية مغايرة تماماً لإحصائية وزارة الصحة اليومية، والتي تعتمد على ما يبدو فقط على المسحات والاختبارات التي تجريها للمشتبه بإصابتهم.

في حلب، تتضارب الأخبار حول عدد الإصابات الإجمالية المؤكدة منذ انفجار الوباء قبل حوالي شهر وحتى الآن، وتفيد شهادات الأطباء الممارسين وعدد كبير من الصفحات الرسمية وغير الرسمية على الفيسبوك أن عدد الإصابات تجاوز الآلاف، فيما لم يتم تحديد عدد الوفيات.

ويرجع الكثيرون زيادة عدد الإصابات، إن لم تبادر الحكومة في اتخاذ إجراءات صارمة وحازمة تحد من انتشار الوباء، والعمل على توفير وتأمين الأدوية المطلوبة للعلاج وإجراء مسحات للمشتبه بإصابتهم والتخفيف من الأنشطة والتجمعات وإغلاق الأماكن التي تساعد على انتشار المرض.

ويرى كثيرون أن الآليات المتبعة من قبل فرق الطوارىء غير ناجعة، وهي بحاجة إلى تدعيم بقرارات أكثر حزماً تلزم الجميع بارتداء الكمامات والتقيد بالتعليمات الصحية والوقائية وفرض غرامات على الأشخاص المخالفين، خاصة في المؤسسات ذات الطابع الخدمي وفي الجامعات والمعاهد التعليمية الخاصة وغيرها من المواقع التي تقدم الخدمات اليومية للمواطنين.

الفحوصات الجامعية

ولم تنفع مناشدات الطلاب في ثني وزارة التعليم العالي عن قرارها إجراء الفحوصات الجامعية في موعدها والتي بدأت أول أمس الأحد.

جامعة حلب، التي سجل فيها العديد من الإصابات، اتخذت كل تدابير السلامة العامة والإجراءات الاحترازية لجهة تعقيم الكليات والقاعات وغيرها من مستلزمات الوقاية من المرض، إلا أن ذلك لم يخفف من قلق الطلبة وأهاليهم والذين ما زالوا يأملون تأجيل الامتحانات لحين انحسار الوباء.

وفي السياق ذاته، يتخوف المرضى ومرافقوهم في مشفى الجامعة من انتقال العدوى إليهم نتيجة تخصيص أجنحة خاصة للعزل في مشفى جراحة القلب، ويطالبون إما بنقل مرضى القلب الأكثر تعرضاً للعدوى والإصابة أو نقل أجنحة العزل إلى مكان آخر، وهو ما ينسحب على باقي المشافي باستثناء مشفى الرازي الذي تم تخصيصه بالكامل لمرضى كورونا.

مبادرات إنسانية

مقابل حالة الجشع والابتزاز والاستغلال التي تمارسها مجموعة من الأطباء والصيادلة، أطلقت نقابة الأطباء بحلب مبادرة هي الأولى من نوعها على مستوى القطر، حيث خصصت ١٠ أرقام خلوية لأطباء اختصاصيين للرد على كافة الاستفسارات المتعلقة بوباء كورونا والاستجابة لأي حالة مستعجلة .

وذكر الدكتور صفوان زعيتر، نقيب الأطباء بحلب، أن تخصيص الأرقام لنخبة من الأطباء، في الاختصاصات الداخلية المختلفة، ممن يتعاملون مع مرضى الفيروس، يأتي في اطار جهود فرع حلب في النقابة للمشاركة بإجراءات التصدي لوباء COVID-١٩ المستجد، جاء بناء على رغبة الأطباء أنفسهم في المشاركة بنشر الوعي لدى عامة الناس، وممن لديهم أعراض وهواجس الاصابة بالفيروس.

أخيراً..

مما تقدم، يتضح جلياً وجود الكثير من حالات الخلل والقصور في الإجراءات المتخذة، بالتزامن مع غياب الوعي وعدم ادراك خطورة المرض من قبل المواطنين، وأدى ذلك إلى انفجار الوباء على هذا النحو المخيف والواسع.

وأمام هذا الامتداد الخطر للوباء، وارتفاع مؤشر الإصابات والوفيات، ينبغي إعادة النظر في كل الإجراءات الوقائية المتخذة واتخاذ كل التدابير المطلوبة للتخفيف من انتشار الفايروس، وذلك بالتوازي مع القيام بحملات النظافة والتعقيم للأحياء والساحات والشوارع والمرافق العامة، ومنع التجمعات ونشر الوعي في صفوف المواطنين؛ ولعل الأهم تشديد الرقابة على عمل العيادات والمشافي الخاصة وعلى عمل الصيدليات لوضع حد لحالات الجشع والاستغلال التي يمارسها البعض من عديمي الضمير والإنسانية.



متواليتان هندسيّتان ساعدتا في الانفجار الفيروسي التصاعدي



البعث الأسبوعي- حياه عيسى

في لقاء مع «البعث»، روى أحد المتعافين من فيروس كورونا أن العدوى انتقلت له نتيجة مخالطته لأحد الأشخاص المخالطين للسائق القادم من الأردن، وأن مسيرة ظهور الأعراض والتوعك الصحي بدأت بارتفاع حرارة ووهن بكامل الجسم وفقدان للشهية وحاستي الشم والتذوق ما دفع به للتوجه إلى المشفى ليتم تأكيد إصابته، بعد أن تم إجراء مسحة PCR ونتيجتها الإيجابية. وتابع قائلاً: لم يكتف الفيروس بإنهاك قواي الجسدية، بل بدأ بالضغط على صدري لمنعي من التنفس.. كانت لحظات مريرة رافقتها آلام شديدة بالمعدة وإسهال شديد استمر مدة ١٥ يوماً تم خلالها الخضوع للبروتوكول العلاجي من خافضات حرارة ومضاد فيروسي وزنك وفيتامينات وسوائل، ثم بدأت الأعراض بالتراجع التدريجي وتلاشت نهائياً في اليوم الـ ٢٠، مؤكداً ضرورة أخذ الحذر وزيادة الوعي والابتعاد عن التجمعات لأن المرض ليس سهلاً، ومؤلم جداً.

مثل هذه الروايات، على بساطتها وعفويتها، واختزالها، شكلت العمود الفقري للقصة الطبية التي وضعها الدكتور عصام أنجق، عضو اللجنة الاستشارية للتصدي لجائحة كورونا، مرجعاً عملية الانتشار الكبير لفيروس كورونا إلى متواليتين هندسيتين والعدد الكبير من المخالطين لهما، ما أثر بشكل كبير على ما نراه أو ما سنلاحظه خلال الفترة القادمة من حالات الإصابة التي بدأت بمرحلة الانتشار التصاعدي، علماً أن الانفجار الانتشاري للفيروس يعود لشخصين: أحدهما السائق القاطن في رأس المعرة القادم من الأردن ومخالطته لعدد كبير من الأشخاص وهو المتوالية الهندسية الأولى، والمرأة المسنة القاطنة بجديدة الفضل والتي أخذت العدوى من قريب لها قادم من لبنان، وتعامل الكادر الطبي معها عند دخولها في حالة إسعاف إلى مشفى المواساة دون الأخذ بالاحتياطات اللازمة، ما أدى لانتشار الفيروس بين الكادر الطبي الذي خالط عدداً كبيراً من الأشخاص، فكانت المتوالية الهندسية الثانية التي ساعدت في الانتشار الفيروسي الحالي، علماً أن أي شخص مصاب بكورونا بإمكانه أن ينقل العدوى لـ ١٢٠ شخصاً تقريباً، فالمتواليتان الهندسيتان الناتجتان عن الحالتين آنفتي الذكر تعتبران المسؤولتين عن توزيع الحالات في العديد من الأماكن، ما أدى إلى الانتشار الكبير للوباء.

وبين الدكتور أنجق أن الفريق الاستشاري المختص للتصدي للجائحة عمل على تعميم البروتوكول العلاجي والوقائي على كافة المؤسسات ووضع خطط معالجة حسب درجة الإصابة، بالتزامن مع وجود دراسات جديدة لتعديل البروتوكول من خلال إضافة بعض الأصناف الدوائية الجديدة ضمنه، مع التأكيد على ضرورة الوقاية الشخصية والعمل بها والالتزام بالتباعد الاجتماعي والنظافة الشخصية للتخفيف من نشر العدوى كون العودة إلى الحظر غير وارد لصعوبة الوضع الاقتصادي، وكون الوباء قد بدأ بمرحلة الانتشار التصاعدي، لاسيما بوجود ٢٠ حالة يومياً بالتزامن مع العديد من الحالات التي لم تخضع لإجراء مسحة PCR المحصورة بالمخبر المركزي بوزارة الصحة، ولكون المخابر الخاصة لم تأخذ دورها بهذا الموضوع.

وأضاف أنجق أن نسبة المناعة التي من الممكن أن تتكون عند المتعافين من فيروس كورونا المستجد لم تعرف حتى الآن، إلا أنه وحسب المراجع العلمية والبروتوكولات العالمية أي شخص مصاب سيتمكن من الحصول على مناعة ومن الممكن أن يصاب مرة أخرى، موضحاً أن من المتوقع أن تصل نسبة الإصابات بالفيروس للذروة خلال الشهرين القادمين، وبعدها قد تبدأ بالتراجع التدريجي، وفي حال استمر الفيروس بالانتشار ولم يجدد نفسه، فسيصبح حتماً كأي فيروس موسمي، وستكون الإصابات أقل بكثير.

وأكد أنجق أن كورونا وباء خطير ويزداد سوءاً يوماً بعد يوم، إلا أن الفرصة مازالت متاحة أمامنا للسيطرة عليه من خلال مساعدة الفريق الصحي والالتزام بوسائل الوقاية الصحية وتخفيف التجمعات والمحافظة على النظافة الشخصية.

عميد كلية العلوم، الدكتور محمود قويدر، الأخصائي في علم المناعة أشار إلى أن COVID-١٩ يعتبر دقائق عضوية، ويمكن أن يصبح حياً إذا ما دخل الخلايا الحية، أما خارج الخلايا فهو ليس كائناً حقيقياً وغير قادر على التكاثر وثباته خارج الجسم - حسب المنطق العلمي - يتراوح بين ساعة واحدة إلى ١٠ ساعات على الأكثر، مع العلم أن بعض الدراسات أشار إلى فترة أطول من ذلك، متابعاً أنه بمجرد دخوله إلى الجسم، سواء عن طريق الفم أو الأنف أو من خلال ملتحمة العين، ووصوله للبلعوم، ومنه للمجرى التنفسي، يتمركز في الحويصلات الرئوية، ويبدأ بالتكاثر، وبدوره الجهاز المناعي يبدأ بتشكيل أضداد تحارب الفيروس عند انفجار الخلية نتيجة تكاثر الفيروس فيها لتقوم الأضداد بالإمساك به ومنعه من الدخول إلى خلايا أخرى كونها لا تنفذ لداخل الخلايا، أي تعمل على الحد من انتشاره والحد من الإصابة عند انفجار الخلية المصابة، بالتزامن مع الخلايا اللمفاوية التائية السامة التي تقوم بالتعرف على الخلية المصابة وتدميرها، لذلك فالمناعة الفعالة تعتمد على شطرين: مناعة سلاحها الأضداد، وأخرى الخلايا التائية السامة.

وتابع قويدر: الأشخاص المتعافون من فيروس كورونا أصبح لديهم أضداد بدمهم، لذلك اتجه العلاج مؤخرا لأخذ مصل من دمهم وحقن المصابين بدرجة إصابة عالية كونها تساعد بشكل آني في الحد من تكاثر الفيروس وتساعد الجهاز المناعي على رفع مستوى مناعته، وتخفف عن المصاب من حمل الفيروس، لذلك لابد من إدخال هذا العلاج ضمن البروتوكول العلاجي المتفق عليهم محلياً.

تقصير البلديات أخطر من كورونا..
ومطالبات بالتشديد قبل وقوع الفأس..



البعث الأسبوعي- علي حسون

عرى وباء كورونا الكثير من المؤسسات ليكشف ترهلها تحت مظلة الإجراءات الاحترازية، وخاصة بعض الوحدات الإدارية والبلديات التي وجدت باباً مفتوحاً على مصرعيه لاستغلال الأزمة والاستفادة على حساب صحة المواطن وسلامته.

صفحات للتلميع

فمن يتابع صفحات تلك الوحدات وصفحات المحافظة في ريف دمشق يفاجئ بنشاط عمل البلديات وحملات التعقيم «الفوتوغرافية» فقط، والتي تعكس شكلياً وليس فعلياً- قيام عمال البلدية بعمليات التعقيم والرش في الشوارع والحارات، مما يترك أثراً ايجابياً عند المتابعين عن بعد، لكن من يتواجد على أرض الواقع يدرك الحقيقة المرة ويكتشف أن كل عمليات الرش والتعقيم «ضحك على اللحى» وخاصة أن الموضوع يتم بشكل «مسلوق» وعبر صهاريج مياه ترش على جانبي الشارع من باب تأدية واجب فقط لا غير، من دون أية وسائل أخرى للتعقيم، كما تغيب تلك الحملات عن حارات ومناطق ليست في مخطط وبال رؤساء الوحدات الإدارية وكأنها مفصولة عن ملاك البلدية..!.

مع هذه الحملات الخلبية كما وصفها مواطنون، يأتي من يستغرب تراكم أكوام القمامة جانب الحاويات والصهاريج تمر من محاذاتها لكي ترشف الطريق بالمياه على أنها حملة تعقيم..!، ليسأل المتابعون ألم يكن الأجدر تنظيف الشوارع من القمامة قبل شطف الشوارع و«تبليلها» بالمياه..؟.

حجج واهية

«البعث الأسبوعية» تابعت عن كثب أداء بعض البلديات لنكتشف غياب المعقمات والنظافة الحقيقية، إضافة إلى الاستهتار والتساهل مع أصحاب الفعاليات والمنشآت السياحية والمطاعم، لتكون الحجج جاهزة «إنها بلديات لم يعلن عن إصابات حقيقية فيها مثبتة مع مسحات عبر المشافي الحكومية» في الوقت الذي يعرف القاصي والداني أن هناك إصابات عديدة وأرقام لا يستهان بها مصابة ولكن من دون مسحات أو تأكد من أصحابها لكن ظهرت عليهم أعراض المرض فاكتفوا بحجر أنفسهم في منازلهم، وأخذ بعض المضادات الحيوية والأدوية المناعية، علماً أن الجميع ومنهم الوحدات الإدارية لديها علم بحجم الإصابات المخفية..!.

وعند السؤال عن مواد التعقيم والرش يأتي الرد من رؤساء تلك الوحدات بأن المحافظة لم ترسل لهم أو أن الكميات غير كافية، أو.. أو.. إلخ!!

ولم يتردد البعض من رمي الكرة في ملعب وزارة الإدارة المحلية والبيئة التي أصدرت تعميماً طلبت فيه من كافة المحافظين التعميم على كافة الوحدات الإدارية إيقاف تعقيم الشوارع والأرصفة بمادة الكلور والتركيز على النظافة الدائمة والمستمرة بالكنس والشطف وترحيل القمامة بالدرجة القصوى، ليهمس أحد الموظفين في البلديات أن التعميم جاء نتيجة استغلال رؤساء وحدات إدارية للظرف واللعب من تحت الطاولة بصرف فواتير بمبالغ كبيرة تتضمن شراء معقمات وكلور من أجل التنظيف.

بنود منسية

ومع التبريرات غير المقنعة من البلديات وتعميم الوزارة لم تخف المحافظة عدم إرسال أي دعم منها، إذ أوضح عضو المكتب التنفيذي في ريف دمشق محمد مضاوية أن البلديات تعتمد على وحدات المياه في تقديم مادة الكلور من أجل التعقيم، علماً أن البلديات لديها ميزانية تمكنها من تخصيص مبالغ لشراء أية مادة معقمة كون مبالغها بسيطة..!.

تعميم الوزارة ركز على ترحيل القمامة والاعتماد على النظافة بالدرجة القصوى، إلا أن هناك بلديات تناست هذا البند المهم وبدأت بتكليف صهاريج برش المياه كما اتفق من دون متابعة وتشديد على النظافة الحقيقية..!.

أما البلديات التي أعلن عن إصابات فعلية فيها كجرمانا والكسوة والتل وقدسيا والمعضمية فقد بدأ رؤساء الوحدات فيها «التلمس على الرأس» كون الفأس وقعت، حيث شهدت استنفاراً بكامل طواقمها مع دعم المحافظة والمجتمع المحلي والفعاليات الاقتصادية وغيرها من أجل التصدي لهذا المرض ومنع انتشاره بشكل تصاعدي، وأوضح رئيس مجلس مدينة جرمانا المهندس عمر سعد أن المجلس قام بتطبيق إجراءات احترازية مشددة مع تنفيذ حملة تعقيم وتنظيف واسعة في جميع أحياء المدينة، موضحاً أنه وبناء على الصلاحيات الممنوحة للمجلس فقد تم إغلاق جميع صالات الافراح والمنتزهات والمسابح والملاعب والنوادي الرياضية والمزارع التي يتم فيها إقامة الحفلات بجميع أنواعها داخل وخارج المخطط التنظيمي حتى إشعار آخر. وإذا لم يتم الإغلاق طوعاً ستقوم لجان البلدية وبمؤازرة ناحية جرمانا بتنفيذ الختم بالشمع الأحمر وسحب الترخيص الممنوح وتحويل المخالف للقضاء المختص، كما تم اقتصار البيع بالمطاعم والكافتيريات على الطلبات الخارجية فقط وعدم استقبال الزبائن بالمحل تحت طائلة المسائلة القانونية وسحب الترخيص والختم لكل مخالف والتحويل للقضاء المختص، إضافة إغلاق جميع المهن والمحلات التجارية يومياً بتمام الساعة ٩ مساءً، ما عدا المطاعم ومحلات الأغذية و السوبر ماركت، ويترتب على أصحابها التقيد بالإجراءات وقرارات وزارة الصحة لمنع انتشار الفايروس تحت طائلة المسائلة القانونية والختم والتحويل للقضاء المختص، إضافة إلى إنهاء ظاهرة إشغال الأملاك العامة والبسطات تحت طائلة المصادرة وتحويل جميع المصادرات للجمعيات الخيرية فوراً.

تأمين الغذاء والدواء

ولفت سعد إلى أنه تم تأمين عدد كبير من الكمامات سيتم توزيعها على الدوائر والموظفين والموطنين المراجعين لأية دائرة في المدينة وكل مخالف لذلك سيتم توقيفه وفق الأنظمة والقوانين لمساهمته بنشر الوباء والإضرار بالغير.

وكشف سعد عن ١٣ إصابة بمرض كورونا مثبتة في جرمانا، وقد تم حجرهم في منازلهم وتأمين الدواء والمواد الأساسية والغذائية بشكل يومي إلى منازلهم، حتى مأكولات أطفالهم «الطيبة».

وكانت محافظة الريف منحت صلاحيات واسعة للمكاتب التنفيذية في مدن التل والكسوة والمعضمية وجرمانا وقدسيا لاتخاذ الإجراءات والقرارات التي تراها هذه المكاتب مناسبة لحماية مواطنيها من فيروس كورونا بناءاً على معرفتها بتفاصيل الأماكن والأعمال والازدحام في كل مدينة بتطبيق قرارات الفريق الحكومي المعني بالتصدي لوباء كورونا بما فيها الحظر في حال وجدوا أن هناك انتشار لفيروس كورونا قي مناطقهم، حيث أكد المحافظ المهندس علاء ابراهيم أنه في حال استشعار الخطر بانتشار فيروس كورونا في أي منطقة سوف يتم إتخاذ الإجراءات الوقائية مباشرة للتصدي لهذا الفيروس، داعياُ المواطنين إلى عدم الخوف وأن يطبقوا الإجراءات الوقائة الفردية والمجتمعية.

الجيش الأبيض في مواجهة زحف كورونا..

تحصين ودفاع ومعدل وفيـ



البعث الأسبوعية - أحمد العمار

شاع لدينا في الآونة الأخيرة استخدام تعبير الجيش الأبيض للدلالة على الطواقم الطبية والعاملين في القطاع الطبي، بصرف النظر عن طبيعة أعمالهم ومستوياتها، وقد أدى هذا الجيش مهاما جساما، في الوقت الذي تعرض فيه لنزيف بشري مؤلم.. هناك من يقول بأننا خسرنا من الكوادر الطبية أكثر مما خسر الآخرون، عازين هذه الخسارة إلى سوء تنظيم حينا، وإلى خلل في خطوط الدفاع عن هذه الكوادر والمرضى حينا آخر، لكن هناك من يرد بأن خسارتنا، ورغم ثقل وطأتها، إلا أنها ما زالت أقل من المعدل العالمي في هذا المجال، فالمعركة مع هذا الوباء تستنزف الضحايا، كما الأموال والجهود، بيد أن المشهد يبدو طبيعيا، عندما ننظر إليه من زاوية خيار واحد ووحيد (الانتصار على كورونا)، ولا شيء آخر.. !

التنظيم .. أولا

يركز المنتصر بالله المصري، طبيب جراحة عظمية، على فكرة التنظيم، إذ أن أغلب المشافي تعاني من سوء التنظيم، لجهة استقبال وفرز المرضى، فالإسعاف يكون في بعض الأحيان ملوثا، ويعقم بشكل غير مقبول، ما يساعد على نقل الفيروس، عند استقبال مرضى يعانون أعراضا مختلفة، مبينا أهمية سد النقص الحاصل في مستلزمات الوقاية من كمامات وكحول وألبسة وغيرها..، بحيث توزع بشكل دوري كل ثلاثة أيام على الأقل، ومن نوعية جيدة، وليست كالنوعيات الرديئة التي توزع حاليا، ومنها الكمامات القماشية الرخيصة.

وتتعرض بعض الطواقم الطبية، وفقا للمصري، للتنمر والهجوم غير المبرر عليها من بعض الأشخاص، بالرغم من أنها في الخطوط الأولى في المواجهة مع هذا الوباء الخطر، مشيرا إلى غياب التعويض المادي المناسب لهذه الطواقم، علما بأن القرار الأخير المتعلق بصرف مكافآت، لم تستفد منه إلا قلة قليلة جدا من هذه الطواقم، مقترحا تأمين سكن مؤقت للأطباء المخالطين لحين انتهاء جائحة كورونا، تجنبا لاختلاطهم بأهلهم، وبالتالي زيادة احتمال الإصابة.

بروتوكول خاص

يرى محمد النصار، طبيب هضمية، أنه لا بد وأن يكون هناك بروتوكولا واضحا يوزع على حسب الحالات المشتبه بها (أعراض الزكام وآلام الحلق والصدر وضيف التنفس والحرارة) والمؤكدة، بحيث تكون هناك غرف وممرات خاصة للمرضى، وأخرى للناس السليمين، مع التزام الطواقم الطبية بأدوات الوقاية كالسترة والقناع والنظارات الطبية والكفوف، وعمل كل ما من شأنه تقليل التماس المباشر بين الطبيب والمريض. ومن الأمور المهمة أيضا، فرز الأطباء الذين يجب أن يعالجوا مرضى كورونا بدقة، مع مراعاة إستبعاد كبار السن والذين لديهم أمراض مزمنة، كذلك الطبيبات المريضات والحوامل، لأن مناعة هؤلاء جميعا تكون أضعف من غيرهم.

ويشير النصار إلى أهمية الانتباه إلى طرق العدوى لتجنب إنعكاساتها على هذه الطواقم، فمن المعروف أن العدوى تنتقل، حسبما تؤكد أغلب الدراسات، عبر الرذاذ أثناء السعال والعطس، ودراسات قليلة تقول أن هذه العدوى تنتقل بوساطة الهواء، وإذا اتبع الطبيب هذه الإرشادات واستخدم أدوات الوقاية، فسيحمي نفسه من هذا الوباء بإذن الله، لافتا إلى أن أكثر الأطباء المعرضين للعدوى، هم أطباء الجهاز التنفسي والأسنان والهضمية، الذين يجرون عمليات التنظير العلوي، وإلى أنه يعرف حوالى خمسة من هؤلاء أصيب بالعدوى نتيجة عدم مراعاتهم تلك الاحتياطات الاحترازية.

ضحايا الجيش الأبيض

يقول عبد الهادي شباط، جراح عظمية، بينما يطالب الملايين من الناس، حول العالم بالبقاء في منازلهم Stay home، يخوض ما بات يعرف بـ الجيش الأبيض من أطباء وممرضين وعاملين في حقل الرعاية الصحية، حربا لا هوادة فيها في مواجهة فيروس كورونا القاتل، معرضين حياتهم للخطر، لذا يسقط يوميا عديد الأطباء كضحايا على الخط الأول في هذه المواجهة، ناهيك عن تسجيل الكثير من الإصابات المشخصة بالمسحات أو شعاعيا وسريريا، لذا ارتفعت نسبة الوفيات بين الكادر الطبي، والتي تشكل نسبة مهمة من الوفيات المسجلة رسميا، حيث تزداد الأمور، على مستوى المنطقة، سوءا وتعقيدا، نظرا للظروف التي تمر فيها، خاصة لجهة ضعف الموارد والإمكانات.. !

ويطرح شباط حلولا وإجراءات، قد تجنب الطواقم الطبية الإصابات، أو على الأقل تحد منها، وحيث باشرت المشافي بتطبيق بعضها.. تخصيص أقسام خاصة بالمرضى المشتبه بإصابتهم بالفيروس، بدءا من وصولهم إلى قسم الإسعاف وحتى قبولهم في غرف عزل خاصة، في حال احتاجوا ذلك، حيث يرتدي العاملون في هذه الأقسام سترات وكمامات وأغطية وجه ونظارات وقفازات، ومن هذه الإجراءات أيضا، التخلص من الأدوات الوقائية في أكياس خاصة، فور انتهاء فترة العمل، كذلك التعقيم والتطهير المستمرين، بعد التعامل مع أي مريض مشتبه به، وتقسيم نظام العمل والدوام إلى ورديات، ما يضمن تخفيف ضغط العمل، وأخذ قسط من الراحة وساعات النوم الكافية، القيام بالفحوصات الدورية للكادر الطبي شعاعية وسريرية، والزام مراجعي المشافي جميعا بارتداء الكمامات والقفازات، وتقليل عدد المرافقين إلى مرافق واحد، وضمن اشتراطات طبية ووقائية محددة..

ضمن الحدود الطبيعية

في موازاة كل ما يحكى عن تزايد حالات الإصابة والوفاة بـ كورونا في البلاد، سيما بين الأطباء، فإن للمدير العام لمشفى المواساة الدكتور عصام الأمين رأيا مختلفا، فهو يرى أن الطواقم الطبية هي الأكثر تعرضا للإصابة، ببساطة لأنها الأكثر تماسا واحتكاكا بالمرضى، وأن معدل الوفيات بين هذه الشريحة لدينا ما زال أقل من المعدل العالمي، الذي هو بحدود ١٠ – ١٥٪، وبالتالي لم ندخل مرحلة الخطر الحقيقي في هذا

ـــات أقل من العالمي!

الجانب بعد.

وتأخذ الإصابة بـ كورونا أربع درجات أخطرها الرابعة، حيث تصاب بها، وفقا للأمين، خمسة بالمئة من الحالات المشتبهة بها، فيما يتوفى ٥ ٢ بالمئة من هذه النسبة، وهو ما يفسر قلة عدد الوفيات الحقيقية بهذا الفيروس عالميا، بالرغم من كثرة الحالات المشتبه بها والمؤكدة، علما بأن المشافي المحلية العامة والخاصة، ما تزال إجراءاتها الاحترازية والوقائية معقولة إلى حد كبير.

ورغب الأمين أن يوجه عبر البعث الأسبوعي رسالة إلى هذه الطواقم، والتي أسماها بالجيش الأبيض العظيم، قال فيها إن القبعة ترفع لهذا الجيش الصامد من أطباء وممرضين وكوادر إدارية وخدمية في المشافي، وتنحني لهم القامات، وهم يصلون الليل بالنهار غير عابئين بالصعاب والمشاق، انطلاقاً من واجبهم الإنساني وضمائرهم الحية، علما بأنه سقط منهم الشهداء، إلا أنهم أصروا على المواجهة حتى الانتصار النهائي على هذا الفيروس اللعين.

كما وجه رسالة إلى السوريين عموما لمساندة الجيش الأبيض عبر تطبيق كافة الوسائل الوقائية الاحترازية، من تطهير وتعقيم وتباعد ولبس الكمامة في الأماكن المكتظة والبقاء في المنزل إلا للضرورة القصوى، مؤكدا أهمية الانتصار في معركة القضاء على كورونا، حيث تجاوزت هذه المعركة البعد الصحي والوبائي، لتشمل أبعادا اجتماعية واقتصادية وتعليمية وتنموية، عبر تطبيق الإجراءات الوقائية الاحترازية المطلوبة.

وكانت صفحة نقابة أطباء سورية على فيسبوك أحصت، حتى مساء السبت الفائت، تسجيل ٦٥ إصابة جديدة ليرتفع الإجمالي إلى ١١٢٥ حالة، وشفاء ٢٠ حالة ليصبح الإجمالي ٣٣١ ، ووفاة حالتين والإجمالي ٥٠ حالة.

أقل المصابين

بالرغم من تضرر الطواقم الطبية في المشافي العامة والخاصة، إلا أن الصيادلة كانوا الأقل في عدد الإصابات، قياسا بنظرائهم من هذه الطواقم، حيث لم تسجل إصابات بينهم، وفقا لما تؤكد نقيب الصيادلة الدكتورة وفاء الكيشي، التي تلفت إلى أن الصيدلاني في المشافي لا يحتك بالمريض بشكل مباشر، أما في الصيدليات، فإنه كان للإجراءات الاحترازية التي اتخذها الصيادلة، أثناء عمليات صرف الوصفة دور مهم في الوقاية وحماية الصيدلاني والزبائن في آن معا.



ومؤخرا، أحدث فقدان بعض الأدوية من أرفف الصيدليات حالة من البلبلة والفوضى السعرية، وأرجعت الكيشي، في وقت سابق، هذا الفقدان إلى توقف بعض المعامل عن الإنتاج، جراء الخسارة ونفاد المواد الأولية اللازمة للصناعة، وأن إعادة التصنيع تحتاج إلى بعض الوقت، مشيرة إلى أن نحو ٩٥ بالمئة من الصيادلة ملتزمون بالأسعار التي تحددها وزارة الصحة، بالنظر لكونها الجهة صاحبة الصلاحية في تحديد هذه الأسعار، وذلك بناء على التكلفة الحقيقية، والتي تضمن سعرا مقبولا للمستهلك، مع مراعاة ألا يخسر المنتجون.

على خريطة الأمراض

اللافت أن كورونا، ورغم التهويل بمخاطره واحتمالات الوفاة جراء الإصابة به، احتل موقعا متأخرا بين عشرة أمراض توفي الناس بسببها حول العالم، خلال النصف الأول من العام الجاري، فقد جاء في المرتبة الثامنة، بعد الإجهاض بـ ٤ 19 مليون وفاة، السرطان ٧ ٣ ملايين، التدخين ٣ ٢ مليون، شرب الكحول ٢ ١ مليون، الآيدز ٧٦٥ ألفا، حوادث السير ٦١٤ ألفا، الملاريا ٤٤٦ ألفا، فيما توفي بـ كورونا نحو ٤٣٤ ألفا، وتأخرت عنه الإنفلونزا الموسمية ٢٢١ ألفا، وخط الأطباء السيء ٣٥٠٠ حالة وفاة.

ournamar@yahoo.com



مابين التعاطي والترويج والاتجار..

المخدرات ترفع نسب الجريمة المـ





البعث الأسبوعية ـ بشير فرزان

حاولت كسب ثقتهم بشتى السبل والوسائل ولم أتوان عن تقديم أي مساعدة يحتاجها أولئك الشباب الصغار، مادية كانت أو معنوية، في سبيل كسر الحواجز بيني وبينهم ولأكون على مسافة قريبة من حياتهم، بما يسمح لي مشاركتهم بعض أسرارهم وخاصة نشاطهم الواضح في سوق تعاطي الحبوب المخدرة؛ ولكن بعد شهور من المتابعة والجلوس معهم لساعات طويلة أيقنت أنهم ليسوا بالسذاجة التي كنت أتوقعها، بل كانوا أكثر حرصاً مني واستطاعوا أن يرسموا خطوطاً حمراء للعلاقة التي كنت أسعى لها معهم، والتي كانت مثيرة دائماً لشكوكهم وتساؤلاتهم، وهي خطوط من الصعب تجاوزها من قبل أي شخص دون موافقتهم المشروطة بتناول خمسة ظروف من حبوب البلتان أو الكبتاغون مع مشروب XXL، ولأكثر من مرة ليكون واحداً منهم وليعطونه الأمان.. أي أن يصبح مدمناً مثلهم يشاركهم جلسات «الفرفشة» كنديم في التعاطي والشرب لا كضيف..!

الشيء الأكثر غرابة أنهم كانوا يحاولون الإيقاع بي، وطبعاً لم يطلبوا مني ذلك بشكل مباشر، بل بشكل مبطن: «لن تعرف اللذة ولن تفهم علاقتنا مع هذه الحبوب إلا بعد تجربة أكثر من ظرف منها وتناول المشروبات معها»!

هؤلاء الشباب الذين يتقاسمون جرم التعاطي والترويج والاتجار ليسوا إلا ضحايا شبكات كبيرة للاتجار بالمخدرات التي انتشرت بكثرة خلال سنوات الحرب، والغريب أنه رغم كل الجهود والمحاولات التي تبذل لوقف انتشار هذه الآفة إلا أنها موجودة وعدد ضحاياها يتزايدون، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، من خلال الكثير من الجرائم التي ترتكب نتيجة الإدمان والتعاطي.. وفي المقابل، تؤكد الجهات المعنية بالمكافحة وتطبيق القانون أن جهودها وإجراءاتها أبطلت مفعول العديد من العمليات الإجرامية وحالت دون تفاقم الأوضاع .

بلد عبور

في مكتب العميد حسين محمد جمعة، مدير إدارة مكافحة المخدّرات تكليفاً، كانت ينتظرنا الكثير من المعلومات خاصة أنه كان متجاوباً مع كل التساؤلات وإجاباته تضمنت توضيحات وأرقاماً هامة تحاكي واقع تجارة المخدرات في بلدنا، وتعطي صورة عن انتشار هذه الآفة التي – بحسب العميد جمعة – كان نتيجة للظروف السياسية والأمنية المُعقّدة. إذ يتم استغلال الحدود المشتركة مع الدول المجاورة لتنفيذ الغايات الإجرامية التي تعزّز الروابط بين العصابات الإرهابية وتجار المخدرات، حيث استُخدِمت المُخدرات كإحدى أدوات الإرهاب المُوَجَّه، فتجار المخدرات يطلبون الحماية لأنشطتهم غير القانونيّة والتنظيمات الإرهابيّة بحاجة إلى أموال لشراء الأسلحة والإنفاق على عناصرها واستقطاب أتباع جدد، ومحاولة اختراق الدولة أمنياً وسياسياً واجتماعياً بهدف تدمير ركائز الأمن والاستقرار الوطني بها، ونشر الفوضى فيها للسيطرة عليها، وفئة الشباب هي الأدوات التنفيذية المُستخدمة من قبلها، وهذا برأيه أدّى إلى ازدياد ظاهرة تهريب وتِجارة وتَعاطي المُخدرات، وأضاف بفضل الجهود التي بذلت تمّ إحباط العديد من عمليات تهريب المواد المخدرة والشبكات العاملة بها، وشهدنا تطوراً في الكمّ والنوع في المواد المضبوطة ممّا يؤشر لزيادة المتورطين في هذا المجال، وتعدُّد وسائل التهريب والطرق المُتّبعة فيه.



العميد جمعة: هناك إساءة استخدام للأدوية المُسكِّنة والمُهدِّئات الموجودة في الصيدليّات

في أوساط الشباب

وأكد العميد جمعة أنّ شريحة الشباب هي الفئة المُستهدَفة في المجتمع السوري والأكثر تعاطياً للمواد المُخدّرة، وقد اتُّخذت عدّة إجراءات وقائيّة وتوعويّة موُجّهة لفئة طلاب المدارس والجامعات عبر اللجنة الإعلاميّة لمُكافحة ظاهرة المُخدّرات وبالتعاون مع الوزارات والمُنظّمات الشعبيّة المعنيّة وتمّ اعتماد خطاب توعوي علمي مُوحَّد للجهات المُنفِّذة للفعاليّات التوعويّة واللجان الإعلاميّة الفرعيّة في المحافظات ووفق خطط مرحليّة، وقُدِّمَ إلى وزارة التربية دليل تعريفي بأنواع المُخَدّرات وآثار تعاطيها المُختلفة على الفرد والأسرة والمجتمع من إعداد إدارة مكافحة المخدرات في وزارة الداخليّة، كما تمّ تقديم عدّة محاضرات توعويّة بناء على دعوات من بعض الجامعات. وأضاف: لاحظنا أنَّه يتم تداول معلومات غير دقيقة مع تهويل واضح وتعميم مُبالغ فيه، ونحن نتوخّى الدقة في متابعة جميع المعلومات الواردة إلينا، ونُرَحِّب بأي تعاون يهدف لتجنيب طلابنا أخطار المخدرات وعواقب تعاطيها، ويجري التعامل بحذر مع القضايا ذات الصلة بفئة طلاب المدارس والجامعات، حيث يتمّ التركيز على مُروّجي ومصادر المواد المُخدّرة، وفي هذا الخصوص فإنّ معظم الحالات تكون محدودة وفرديّة، وتفيد المعلومات المتوافرة لدينا بوجود حالات لا يتمّ فيها تعاطي المَخدرات الشائعة (حشيش مخدر، هيروين، كبتاغون)، بل يجري إساءة استخدام للأدوية المُسكِّنة والمُهدِّئات والأدوية النفسيّة الموجودة في الصيدليّات، علماً أن هناك عدة تعاميم صادرة عن وزارة الصحة ونقابة الصيادلة تنصّ على عدم بيع الأدوية النفسية إلّا بموجب وصفة طبيّة رسميّة صادرة عن طبيب مُختصّ، وهناك تأكيد على هذه التعاميم وفق توصيات الاجتماع الأخير للجنة الوطنيّة لشؤون المخدرات.

إجراءات للمكافحة

وعن الإجراءات التي تتخذها إدارة المخدرات لمكافحة هذه الآفة، وخاصة فيما يخص مراقبة الحدود ومتابعة التجار والمروجين والتحديات التي تواجهها، أشار العميد جمعة إلى

ـجتمعية وتخرب الشباب بالإدمان

تنفيذ إستراتيجية مكافحة العرض وخفض الطلب، وذلك من خلال اللجنة الوطنية لشؤون المخدّرات، وتابع: هناك اهتمام كبير وعناية فائقة بمسألة المكافحة العملياتيّة والجهود المبذولة في مكافحة المخدرات مستمرة ومتطورة دائماً وهي جهود مركّبة ومُعقّدة أيضاً، وقد قامت إدارة مكافحة المخدرات وفروعها بتنفيذ العديد من العمليات النوعيّة لجهة كمية المواد المخدرة المضبوطة، وللأسلوب المُتبع في ضبطها، بالإضافة لكشف أساليب الإخفاء التي اعتمدها المروجون والمهربون، وذلك من خلال تطوير أساليب البحث والضبط، حيث تم الاعتماد على عملية التدريب المستمرة لضباط وعناصر مكافحة المخدرات.



تعاون دولي

ولفت إلى أن سورية بلد عبور نظراً لموقعها الجغرافي لافتاً إلى مشاركة الجمهورية العربية السورية عبر إدارة مكافحة المخدرات في وزارة الداخليّة ضمن فعاليّات الأسبوع الإلكتروني الدولي الذي نظّمته الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات للكشف عن تأثير جائحة كورونا على الإتجار العالمي بالمخدرات والجريمة عموماً ومناقشة الحلول العمليّة المُحتملة، وذلك في أواخر شهر أيار، وقال: «هذه المشاركة تمت رغم ظروف الحصار الجائر وعدم دعمنا وتزويدنا بالوسائل الفنيّة المُنتجة حديثاً في التعامل مع النواحي المُختلفة لقضايا المُخدّرات».

لغة الأرقام

وعن الإحصائيات الأخيرة حول المخدرات لناحية الكميات وعدد المتورطين في التجارة والتعاطي، قدم لنا العميد جمعة إحصائية شاملة عن المواد المخدّرة المضبوطة في سوريّة خلال الأشهر الأربعة الأولى من هذا العام، فقد بلغ عدد القضايا ٢٢٧٠ قضية، وعدد المتهمين ٢٩٥٠ متهماً. أما المصادرات فقد بلغت ٥٧٣ غرام، و٢٠٠٠ كغ حشيش مخدّر، و١ كغ غرام هيروئين مخدّر، و١٨٢ غرام كوكائين مخدّر، و١٣٤٧٤٥١٥ من حبوب الكبتاغون المخدّرة، و٤٢٤٦٥ حبوب دوائية نفسيّة: ماريجوانا ٥٤ سنتغ، ٢٧ غرام - بذور القنّب الهندي٤٤٣ غرام - الأمفيتامين ٢٠٠ غرام - سيلفيا ٥١٨ غرام - زيت الحشيش ٥٥ غرام، إضافة إلى عجينة تحتوي مادة الأمفيتامين ٨٥٥ ٤ كغ، ونبات القنب الهندي «القنبز» ٢٢٥ غرام.

سرية العلاج

العديد من الأخصائيين النفسيين والذين لديهم تجربة في معالجة مشكلات الإدمان والتعاطي أكدوا لنا أن الإدمان هو مجموعة المظاهر الجسدية والسلوكية والمعرفية التي تنتج عن الاستخدام المتكرر لمادة ما، والرغبة الشديدة في استخدامها، ومع مرور الوقت تزداد الكمية التي يتناولها المدمن للحصول على المتعة التي تؤدي في النهاية إلى التدهور المادي والاجتماعي والصحي، وأحيانا كثيرة إلى الوفاة، وبينوا أن العلاج في المشفى، وغير ذلك من المحاولات العائلية للعلاج في المنزل، تفشل بنسبة ٩٩٪ لعدم قدرة الأهل والمحيطين بالمتعاطي على السيطرة عليه خلال مرحلة السحب (أي زوال المادة منه)، فبعد انتهاء المرحلة الأولى يعود المريض إلى توازنه ويستمر بتناول القليل من الأدوية الداعمة نفسيا مثل مضادات الاكتئاب ومثبتات المزاج أو مهدئات بسيطة لا بد منها.

وحول مشكلات علاج الإدمان أشاروا إلى أن أكثر من ٨٠٪ من المرضى لا يعودون لمتابعة العلاج بعد التخرج من المشفى، ويتخلفون عن إعادة التأهيل والدعم، وبالتالي يكونون عرضة للنكس، وهذا ما جعل الكثيرين منهم يدخل إلى المشفى لأكثر من مرة (٤ - ٥ مرات)، ثم يعودون للتعاطي؛ وهنا نشير إلى أن مشفى ابن رشد المختص بمعالجة المدمنين بات الآن في زمن كورونا أحد مراكز الحجر الصحي، ولفت الأخصائيون إلى أن نسبة انتشار الإدمان بين الذكور أكثر من الإناث، إلى جانب تزايد المواد التي يدمن عليها وانتشار الإدمان في أعمار صغيرة (٩ - ١٥) سنة .

وأشاروا إلى دور العوامل البيولوجية في الإدمان كالوراثة، حيث تلاحظ زيادة الإدمان في عائلات معينة، ولكن لا يمكن الجزم بأن كل أب أو أم مدمنة سينقلان هذا الإدمان إلى الأطفال، بل ستكون هناك نسبة أعلى لوجود الإدمان في هذه العائلة عن غيرها من الأسر، كما بينوا أن الأمراض الجسدية المزمنة التي تحتاج إلى مسكنات بشكل دائم، مثل الأورام والاضطراب بالنواقل العصبية التي لها علاقة بالمواد التي ينشأ عنها الإدمان، تجعل الشخص مؤهلاً أكثر من غيره للإصابة بالمرض الإدماني، إضافة إلى العوامل النفسية كوجود مرض نفسي ومحاولة الشخص علاج نفسه مما يوقعه في الاستعمال الخاطئ للأدوية، واضطرابات الشخصية وعدم نضوجها مما يجعلها باحثة عن اللذة بشكل غير ناضج، ومحاولة الإشباع الفوري للرغبات.

رأي قضائي

من خلال تجربته القضائية، بيّن المستشار رشيد موعد أن التعامل بالمخدرات، بالاتجار أو التعاطي، يشكل تهديداً حقيقياً للمجتمع بأكمله، وعلى قيمه الأخلاقية والاجتماعية؛ وبيّن أن معظم التشريعات أجمعت على أن الإدمان مرض يجب علاجه ومعالجة المدمن كي يتخلص من إدمانه، وذلك أجدى وأنفع من حجز حريته وتوقيفه، وقد أخذ المشرع بهذه القاعدة، فنص في صلب المادة ٤٣ من قانون المخدرات رقم ٢ لعام ١٩٩٣ على عقوبة التعاطي المتمثلة بالاعتقال المؤقت مدة ثلاث سنوات، ثم أعطى المحكمة الحق أن تأمر بوقف تنفيذ هذه العقوبة وإيداع من يثبت إدمانه في مركز المعالجة، وتُمنع إقامة دعوى على من يتقدم من تلقاء نفسه لمعالجة الإدمان، أو تطلب زوجته أو أحد أقاربه حتى الدرجة الثانية إيداعه في مركز المعالجة على ألا تقل فترة العلاج عن ثلاثة أشهر ولا تزيد عن ستة، ويتم الإفراج عنه من قبل لجنة مختصة، علماً أن إجراءات العلاج تتم بسرية تامة (المادتان ٤٣ - ٤٤ من قانون المخدرات) حتى لا يشعر بأي حرج.. أما إذا ضبط بالجرم المشهود فيحال موجوداً إلى القضاء، ويفقد هذه المنحة التي أعطاها له القانون. وبيّن موعد أن من أسباب التعاطي التفكك الأسري، وانعدام الرقابة على الأبناء، والخلافات الزوجية، وحدوث الطلاق، وغياب الرقابة على المدارس، إضافة إلى الفراغ الذي يعاني منه الشباب، وغياب الوعي الديني.

حقائق

الأحداث المأساوية التي نعيش تداعياتها اجتماعياً وأخلاقياً ومادياً وصحياً ساهمت إلى حد كبير في انتشار الجرائم بأنواعها والتي تتلطى وراء جرائم التعاطي والإدمان في غالبيتها، ولكن هذا الواقع يبقى في خانة الظرف الاستثنائي الذي سينتهي بانتهاء هذه الظروف واستعادة الناس وجميع الفعاليات المجتمعية والمؤسسات المعنية لدورها وحضورها الأمثل في المجتمع، ويبقى الرهان على دور التربية الأسرية والمدرسية في حماية الأجيال من هذه الآفة الخطيرة .

وبالعودة إلى أولئك الشباب الذين حاولت أن أدخل عالمهم من بوابة الصداقة «الرفقة»، وبعد أن استطلعت عن أخبارهم، علمت أن منهم من قضى شهيداً أثناء تأديته الخدمة الإلزامية، وهناك من بات في السجن بتهم السرقة والتعدي على الآخرين، وهناك من يتابع في يوميات «الفرفشة» والتعاطي والترويج والاتجار ليقع في شر أعماله، حيث وبعد خلاف على المواد المخدرة تم إطلاق النار عليه ونقله إلى المشفى.. هذا إلى جانب مقتل شاب أخر كان يحاول الإصلاح بين المتشاجرين الذين باتوا بين جريح وقتيل ومجرم خلف القضبان بسبب المخدرات.



صناعة مجسمات القوارب.. أيقونات جمال بدأت تختفي من البيوت الساحلية



البعث الأسبوعية ـ محمد محمود

صناعة مجسمات القوارب، أيقونة الجمال في البيوت الساحلية، والهوية البصرية التي تستعيدها ذاكرتنا من خلال مجسم جميل لسفينة فينيقية مشغولة يدوياً، بالأخشاب الطبيعية، والمزينة بالصدف البحري وخيوط القنب والأقمشة، وتتباهى بها غرف الاستقبال في المنازل التي كنا نزورها في طرطوس، لتقدم هوية مميزة بطابع إبداعي، وبصمة خاصة، لعروس الساحل.. هذه الصناعة تختفي شيئاً فشيئاً، مع تراجع الصناعات اليدوية العريقة في المدينة، ولأسباب مختلفة. ورغم أنها زالت مستمرة حتى اليوم، إلا أن قلة قليلة من الحرفيين، والصناع المهرة، يعملون بها، بإنتاج متواضع، وحسب الطلب، وحتى باتت مهددة بالضياع والاندثار، فهل تزول تلك البصمة التراثية، أم تتجدد وتصبح أكثر ثباتاً، فنحافظ على إرث حضاري عريق، ومعاني سامية تقدمها تلك الحرفة؟!

قلة قليلة!

أسماء قليلة يمكن التوقف عندها عند الحديث عن مهنة صناعة مجسمات القوارب في مدينة طرطوس. فراس شلدح وعلي معلا من أبرز الحرفيين الذين تبقوا في المدينة، إضافة لبعض الحرفيين المهرة في جزيرة أرواد، ممن يمتهنون مهنة صناعة القوارب التذكارية. ومع تراجع النشاط السياحي وتأثره بالأوضاع الاقتصادية، بات هؤلاء يدقون ناقوس الخطر إزاء احتمالات زوال هذه الحرفة من بعدهم. يتحدث فراس شلدح، الحرفي الذي احترف تشكيل أيقونات السفن منذ صغره، عن خصوصية الصناعات اليدوية في الساحل السوري وارتباطها به، إذ هي تقدم هوية عن التاريخ السوري وتوثيقه، ويشرح كيف يقوم بصناعة مجسمات مشغولة من مواد طبيعية بطرق يدوية بحتة، كصناعة السفن القديمة، الفينيقي منها والأحدث، إضافة لبعض المخطوطات المكتوبة على الجلد عن التاريخ السوري القديم، وعن صناعة مجسمات السفن. يقول شلدح: إنها تتراجع بشكل ملحوظ رغم أنها كانت هوية للمدن الساحلية، ويرجع ذلك لعوامل مختلفة، منها اتجاه معظم الحرفيين للسفر نتيجة الأزمة، والمتبقي منهم ترك المهنة والتفت لأعمال أخرى لتأمين لقمة عيشه، خاصة في هذه الأوضاع، فالعمل بصناعة مجسم سفينة بحاجة للراحة، وللوقت الكبير، وللتفرغ، إضافة للذهنية المتفتحة والصافية.

مواد محلية

ويؤكد شلدح أن صناعة مجسمات السفن التي ينفذها تتم بمواد محلية متوفرة في الطبيعة، فالتصنيع يكون من خشب الزيتون وخيطان القنب، بالإضافة لتوالف بيئي من الغذائيات بعد معالجتها، مثل البن وحب الزيتون وقشر البطيخ، حيث تتم صناعة صبغات طبيعية منها، لكن الوقت الطويل والدقة هو ما يرفع سعر هذه القوارب، مبيناً أنه لا يمكن تحديد سعر ثابت لعمل فني، فهو يختلف بحسب حجم الجهد والعمل، لكنه يبقى بأسعار مقبولة.

وعن تعليم هذه المهنة ونقلها لأجيال أخرى، يبين شلدح أن التعليم مرتبط بمحبة المهنة والرغبة في تعلمها، فنحن نقدم الأساسيات الأولية في طريقة التصنيع والتحضير، لكن الأساس هو الخيال، ثم التصنيع، إذ يجب رسم المجسم أولاً ثم التدريب، والأبعاد هنا مهمة جداً، ويمكن القول أنه من بين ١٠ هواة لن يخرج أكثر من شخص واحد، أو اثنين، يتمكنان من تعلم المهنة وإتقانها، لأنها بحاجة لعمل وتعب كثيرين!! ويجب التأكيد على عدم الاستهانة بأعمال السوريين، فالمهنة يمكن أن تعود بمردودية مادية جيدة.. سابقاً عرف لدينا مبدعون، مثل محمد الحريشية، الحرفي الذي تفوق مجسم مركب صنعه على أكثر من ٢٠٠ عمل دولي في فرنسا.. ويوجه الفنان فراس رسالة أخيرة هي رسالة عتب ووجع وألم: نحتاج لدعم مادي لتطوير المهن وإلا فنحن على حافة الزوال!!

دراسة منفردة

في المقابل، يشرح الحرفي علي معلا كيف بدأ تعلم المهنة بشكل منفرد، وانكب على دراسة مخططات سفن عالمية كثيرة، ومؤخراً سفينة الكورينا، ليقوم بصناعة مجسمات مميزة من خشب الميغانو المكلف جداً، حيث يبلغ سعر المتر الواحد المستخدم لتصنيع مجسمات السفن مليون ليرة تقريباً. وبالتالي، فالأعمال التي ينفذها مرتفعة الثمن لأنها مبنية وفق رؤية هندسية وتصاميم خاصة وبمواد أولية مرتفعة الثمن.. والظروف التي نمر بها تؤثر كثيراً على هذه الصناعة وتقدمها، ويوضح معلا: في البداية كنت أعمل بالسفن الفرعونية والبريطانية، لكن، في ظل الأزمة، رأيت أن من المهم إعادة إحياء تاريخ المنطقة المتألق، والحضارة الفينيقية التي تميزت بأنها قدمت للعالم صناعة سفن متطورة نقل عنها الفراعنة والبريطانيون.

نماذج هندسية

يتابع معلا: لدي نماذج متعددة من السفن الفينيقية: السفينة البدائية، وأول سفينة بالتاريخ المأخوذة من شكل الورقة الطافية على وجه الماء. بعدها جاءت السفينة الحربية، ومركب الصيد الفينيقي.. والسفينة التجارية والحربية الضخمة التي أصممها بطول ٨ ١ متر، مكللاً مقدمة السفينة باللون الأرجواني الذي اكتشفه الفينيقيون.

يبدي معلا اهتمامه بإظهار الزي العسكري الفينيقي من خلال فرسان وجنود على ظهر السفينة التي تتسع لنحو خمسين جندياً على السطح، ونحو ٢٤ في الداخل، مع أسلحتهم من الرماح؛ وهو يعتمد في معلوماته على بعض المصادر العلمية والمنحوتات الحجرية القديمة، حيث تتميز أعماله بالدقة الهندسية والإضافات التي تجعل منها تحفاً باهظة الثمن، خاصة في ظل الظروف الحالية. ويختم معلا بالحديث عن هدية تذكارية لسفينة فينيقية من تصميمه قدمت لمجلس مدينة حلب من مجلس مدينة طرطوس، لتؤكد هذا الطابع الخاص للمدينة.

أهمية خاصة!

ما يبدو هو أن حرفة صناعة مجسمات السفن تحظى بدعم واهتمام خاص، رغم تراجعها، كما أكد لنا منذر رمضان، عضو المكتب التنفيذي لاتحاد الحرفيين بطرطوس، إذ قال: نحن كجهة حاضنة وداعمة لكل الحرف، نعطي هذه الحرفة أهمية إضافية لخصوصيتها وارتباطها بالهوية الساحلية، وطرطوس خاصة، ولدينا اليوم عدد من الأسماء التي تقوم بإنتاج هذه التذكارات المرتبطة بهوية المدينة، وهناك أيضاً من يقوم بصناعة السفن ضمن القوارير الزجاجية، وهناك تصنيع مجسمات في جزيرة أرواد بمواصفات مختلفة، وتمت المشاركة بعدد كبير من المهرجانات والمعارض، منها في أرواد، وتمت دعوة جميع الحرفيين العاملين بتصنيع مجسمات القوارب، لعرض منتجاتهم كجزء ترويجي وتعريفي لتراثنا وحضارتنا. وأكد رمضان: نحن داعمون لهذه الحرفة جداً، ونحاول إحداث سوق للمهن اليدوية لترويجها، فالدعم وحده لا يكفي لأن الطلب عليها ضعيف جداً، والأسعار متفاوتة.

المركب الفينيقي

هو رمز لمدينة طرطوس وهوية لمدن الساحل السوري، وهو أيقونة من الإبداع والجمال التي تبقى لسنوات طويلة.. يؤكد منذر رمضان هذه الحقيقة، في معرض حديثه عن ضرورة الحفاظ على هذه الحرفة والتراث. ويضيف: الهدف اليوم يتجاوز إبقاء المركب ضمن مجسم إلى إعادة إحياء صناعة السفن الحقيقية، فهذا المشروع مشروع استثماري مهم، والاهتمام بالمجسم ضروري ليبقى بالذاكرة، ويدرك العالم أننا كنا مصنعين بالأصل للمراكب، فأي دولة في العالم تقدم شيئاً من تاريخها للدلالة على أصالتها، وهذه رسالة من الجذور بأن السوريين هم من علموا العالم كيفية الإبحار والخوض في البحر.. واليوم يشكل الحفاظ على هذا المجسم جزءاً من إرث فني للحفاظ على الإرث والتراث، إضافة لإعادة إحياء هذه الصناعة، والهدف السعي لإعادة بناء السفن الحقيقية بأيد سورية؛ والمطلوب أيضاً تعليمها لأبناء المحافظة، وإدخالها للجامعات بشكل أكاديمي لتصبح مادة أكاديمية، لئلا تبقى ضمن شعارات، وتدرس بشكل علمي وحضاري وصحيح دون إدخالات، فالبلد الصناعي هو من يصنع الآلة، وليس من يستورد الآلات ثم ينتج.







فيروس كورونا

٢٠١٩ (كوفيد١٩-)

كيف تحمي نفسك والآخرين من العدوى

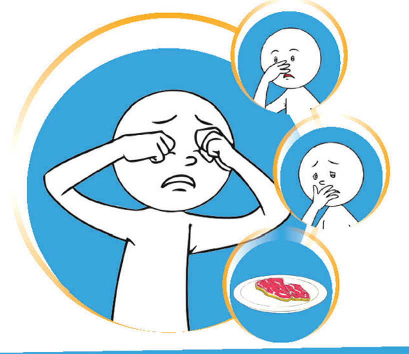
اتبع هذه الممارسات الجيدة



اغسل يديك جيداً بالماء الجاري والصابون لمدة ٢٠ ثانية أو أفركهما بمطهر يحتوي على ما لا يقل عن ٦٠ % من الكحول.



عند السعال أو العطس، قم بتغطية الفم أو الأنف بالكوع المثني أو المنديل الورقي ويجب التخلص منه مباشرة بعد إستعماله، وغسل اليدين بالماء والصابون.



تجنب ملامسة العينين أو الأنف أو الفم.
وتجنب تناول الطعام غير المطهي جيداً.



تواصل مع وزارة الصحة **إذا كنت تعاني من أحد الأعراض التالية: حمى، سعال، وضيق التنفس** وكنت قد سافرت إلى أحد البلدان الموبوءة



منتخبنا الوطني الأول لكرة القـ

الفرار من كورونا إلى الشيراتون مـ



حلب ـ محمود جنيد

لم يلبث منتخبنا الوطني الأول لكرة القدم في حلب إلا عشية وضحاها، ومن فوره حزم أمتعته ميمماً شطر العاصمة دمشق ليستأنف معسكره الداخلي هناك، بقرار تشاوري بين مشرف المنتخب، عبد القادر كردغلي، وعضو الاتحاد العربي السوري لكرة القدم، سعد الدين قرقناوي، بناءً على توصية اللجنة الطبية بالمنتخب، إذ كشفت نتائج الفحص المخبري PCR (مسحات كورونا) الذي خضع له إصابة سبعة من عناصره (أربعة لاعبين وثلاثة من الكادر الفني والإداري) بالفيروس الغادر!

حلم الشعب

منتخبنا الوطني الذي كنا على تماس مباشر معه، منذ اللحظة التي تقرر بها معسكره في حلب، بالتواصل مع رئيس اتحاد كرة القدم العميد حاتم الغايب، وبعدها على الطبيعة بعد وصوله، حقق انفردات سجل منها أهدافاً سبقية مع وصول المدرب التونسي إلى سورية وإمساكه دفة القيادة، بانخراطه بمعسكر داخلي على شكل تجمعات ضمن عدد من المحافظات بالتناوب، ولمدة تزيد عن الشهر، ويعد المعسكر الأول من نوعه على صعيد المنتخبات الوطنية في العالم في ظل الظروف الكورونية الراهنة، كما لم تدم مدة باكورة تجمعات معسكره بحلب أكثر من مران خفيف واحد؛ ومن وجهة نظرنا، كانت هذه الحصة التدريبية التي اقتصرت على ١٧ لاعباً، مقابل ١٥ من عناصر الجهازين الفني والإداري والطبي، كفيلة بالبوح بأسرار سياسة عمل ونهج المدرب المعلول الذي ظهر غاية في الجدية؛ ولا وقت لديه ليضيعه مشهراً سيف العمل القاطع في معركة الانتصار لحلم التأهل إلى نهائيات كأس العالم ٢٠٢٢.

صدمة وشكوك

جاء وقع خبر الإصابات في صفوف المنتخب الوطني صادماً، متناقض الوقائع بالنسبة للشارع الرياضي السوري، فمعظم اللاعبين، وحتى أعضاء الكادر الإداري الذين ثبتت إصابتهم، شاركوا بمران المنتخب (أحمد أشقر، أحمد الأحمد، محمد عنز، عساف خليفة، وسام غيبور، مهند الأسعد)، والاستثناء الوحيد كان مارديك ماريكيان الذي تخلف من باب الحيطة بسبب شعوره بعوارض إرهاق وتعب، ومعه خالد كردغلي، وخالد مبيض، وحسين جويد، وكامل كواية، وحسين جويد، فكانت الإشارة هنا إلى وجود بعض التهاون أو التقصير الطبي الذي سبب ذلك التخبط والقصور في تطبيق الإجراءات الاستباقية اللازمة، حتى أن هناك من تحدث عن عدم وجود كادر طبي أو طبيب مرافق للمنتخب، بينما المعطيات على الأرض أكدت وجود مسؤول اتصال بين لجنة الطب الرياضي والمنتخب، وهو د. بسام الحايك، عضو اتحاد الطب الرياضي ولجنة الطب الرياضي باتحاد الكرة، والذي تولى مسؤولية تنسيق إجراءات تطبيق البروتوكول الطبي الخاص بالمنتخب وقدم محاضرة خاصة لأعضاء المنتخب الوطني تضمنت لمحة تعريفية عن كوفيد-١٩، وكيف ينتقل، والأعراض التي قد تأتي مجتمعة أو منفردة، ومتى يجب غسل اليدين وتعقيمهما، وكيفية تقديم التحية وتعليمات وضوابط والإجراءات الأخرى، والحالات التي يمنع فيها اللاعبون من ممارسة النشاط الرياضي، وإجراء الاختبارات.



توضيح طبي

ومن خلال تواصلنا معه بعد اتخاذ قرار الإلغاء القصري لمعسكر المنتخب، أوضح د. حايك أنه، وتطبيقاً لمعايير الاتحادين الآسيوي والدولي لكرة القدم، وحرصاً على سلامة عناصر المنتخب، وكذلك الجمهور الذي سمح له بحضور التدريبات على الطبيعة، اقتُرح أخذ مسحات وذلك بالتعاون مع مدير صحة حلب، بعد نصف ساعة من وصول اللاعبين عند الثانية من ظهيرة الاثنين، ٣ آب الجاري، وسبقته قصة سريرية مفصلة لأعضاء المنتخب الـ ٣٤؛ وكانت نتيجة المسحات إيجابية لسبعة عناصر، هم مدير المنتخب واثنان من الكادر الطبي وأربعة لاعبين أحدهم من اللاذقية، وثلاثة من حلب، لتعقد اللجنة الطبية إزاء ذلك اجتماعاً طارئاً مع مدرب المنتخب وعضوي اتحاد الكرة، عبد القادر كردغلي وسعد الدين قرقناوي، بالمشورة التواصلية مع رئيس اتحاد كرة القدم ورئيس الاتحاد الرياضي العام، ليكون التوافق على إيقاف المعسكر بحلب والتحول به إلى دمشق مع تطبيق الحجر الكامل والتوصية بإجراء التمارين الهوائية التي يوصى فيها بالحجر للأشخاص الذين ليس لديهم إصابات مؤكدة بالفيروس للحفاظ على لياقتهم ورفع مناعتهم.

هل فشلت المهمة؟!

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: أين طبيب المنتخب المختص؟ ولماذا غادر المنتخب مدينة حلب واتجه للعاصمة لاستئناف معسكره؟ وهل هذا يعتبر تسليماً بفشل مهمة الاستضافة، وعدم القدرة على التعامل مع الأمور الطارئة؟

الإجابة جاءت على لسان عضو اتحاد كرة القدم والمشرف الإداري على معسكر حلب، سعد الدين قرقناوي، موضحاً بأن المشكلة كانت في الحجوزات الفندقية إذ تم تغيير مقر إقامة المنتخب من فندق قصر حلب إلى فندق الشهباء بناء على طلب المدير الفني الكابتن نبيل معلول، إذ تتوفر أماكن وقاعات للمحاضرات النظرية في الفندق الذي تم الانتقال إليه، إلا أن حجوزات الغرف توزعت على ستة طوابق واعتذرت إدارة الفندق عن إتمام الاستضافة حرصاً منها على القيام بعمليات التعقيم اللازمة، ما استدعى نقل المعسكر إلى دمشق بعد تأمين حجز فندقي لائق في فندق شيراتون دمشق، ضمن جناح طابقي كامل، وبإقامة تراعي متطلبات السلامة والصحة العامة لجميع أفراد المنتخب. وأكد قرقناوي أن مران المنتخب الوحيد نفذت خلاله جميع الإجراءات الاحترازية من تباعد مكاني وعدد محدود من اللاعبين في الوحدة التدريبية وتعقيم لمرافق الملعب وارتداء الكمامات من قبل عناصر الخدمة وجميع أفراد المنتخب، مردفاً بأن الأفراد المصابين تم حجرهم ضمن قسم الحجر الخاص في مشفى ابن خلدون محاطين بأعلى درجات الرعاية الطبية، ما ساهم بتعجيل شفائهم وإمكانية التحاقهم بمعسكر دمشق على أن يعود الجميع لاحقاً إلى حلب للبدء بمرحلة جديدة من معسكر المنتخب، حسب الاتفاق الحاصل بين المدرب وطاقم اتحاد الكرة؛ وبالنسبة لهوية طبيب المنتخب، بين عضو اتحاد الكرة بأنه مكلف وبشكل رسمي (د. المختص أحمد كنجو)، وسيكون على رأس الطاقم الطبي.

مع المعلول!

وبالعودة فلاش باك إلى نقطة تلاقينا مع مدرب المنتخب التونسي نبيل معلول، وكان ذلك في ملعب الحمدانية صبيحة الثالث من آب الجاري، رفقة رئيس اللجنة التنفيذية للاتحاد الرياضي بحلب، معن غنوم، ومدير الملعب عضو اتحاد الكرة، سعد الدين قرقناوي، ركزنا على الـ ري آكشن ونظرات المدرب التي اتسعت حدقته وهو يرمق مسطح الملعب الأخضر بالنظرات الأولى وكأنه أراد أن يقوم بتقريب المسافة زووم قبل أن يطأ عشب الملعب؛ وعندما وصل وعاين، قال: ماشاء الله!! هكذا أرضية هي أفضل ما رأيت على مستوى الملاعب السورية (عالميةً)، مضيفاً بأن ملعب الحمدانية هو الخيار المثالي

ـــدم يطرق مرمى (غينيس)..
ـــع الإصرار على العودة إلى الصفر!!





لمعسكر المنتخب، وبالتالي سيناقش إمكانية تمديد المعسكر في حلب مع اتحاد اللعبة عقب ما رآه.

محطات وعوالم

في غرفة مدير الملعب، أجرينا حوارنا الخاص مع المدرب التونسي.. أفرد قائد نسور قاسيون أجنحة الحديث صافات، وأصداء صوته ولغته التعبيرية أخذتنا إلى عوالم ومحطات الحلم، ووصلتنا الفكرة التي أرادها عندما قال: المنتخب الوطني السوري هو الوحيد الذي يقيم معسكراً تدريبياً لمدة شهر وأسبوع، كونه مقبلاً على موسم استثنائي، فبعد سنة وثلاثة أشهر يتكشف مصير منتخب سورية، وإن كان قد نجح بالوصول إلى نهائيات كأس العالم! وهذا يحتاج إلى جهد جبار وصبر وتضحيات وتحضيرات على مستوى نوعي وعال جداً لتحقيق الطموح.



المدرب قال ذلك وكأنه يستبق الظروف والمصاعب وطوارئ الأمور التي يمكن أن تعترض طريق المنتخب في التحضير، وخلال الدور الثاني (اعتبر الوصول إليه مضموناً) للتصفيات المشتركة المؤهلة لنهائيات كأس العالم ٢٠٢٢، وكأس آسيا ٢٠٢٣.

وأشار المعلول إلى صعوبة مهمة المنتخب بعد تجاوز مرحلة إياب الدور الأول بنجاح، عندما قال:

المهمة صعبة والتعامل معها سيكون بشكل مرحلي.. خطوة بعد خطوة، لأن الفريق سيقابل في الدور الثاني منتخبات قوية جداً ومتمرسة، من شرق وغرب آسيا والعرب، ولديها الخبرة والباع في المشاركة في مثل هذه الاستحقاقات بينها من وصل إلى نهائيات كأس العالم وفاز ببطولة آسيا، ومنها من وثب إلى مرحلة عالية من التطور.

إلا أن مدرب المنتخب الوطني السوري لم يخف تفاؤله بالنجاح من خلال توفير السلاح الذي لا يمكن هزيمته، إذ قال: المنتخب السوري يمتلك عناصر ذات كفاءة عالية وموثوقة وقادرة على المضي بقوة وثبات، وأكثر ما شجعني على الترحيب بالمهمة وقبول التحدي هو الروح التي شاهدتها عند الجمهور السوري الاستثنائي واللاعبين، والروح العالية والعزيمة هي التي نطلبها من اللاعبين لتحقيق الانتصارات والوصول إلى الغاية المطلوبة، أما بقية الأمور الفنية والبدنية والتكتيكية وتطوير قدرات وكفاءة اللاعبين ومستواهم فهي مهمتنا كجهاز فني، وأكرر: الروح، ثم الروح، ثم الروح.. هي كلمة سر التفوق والمضي قدماً في المهمة الوطنية الكبيرة التي تنتظر اللاعبين.

وبالتطرق لمهمة وسيرة اللاعبين، كان لنا تساؤل حول اقتصار المعسكر التدريبي الداخلي على المحليين منهم، كذلك حول مقاييس الاختيار، فجاءت الإجابة من المعلول: المعسكرات الداخلية مقتصرة على اللاعبين المحليين من الفرق السورية، بانتظار الفيفا داي، وتبدأ بالنسبة للاتحادات الآسيوية والأفريقية بين الخامس والثالث عشر من تشرين الأول المقبل بالنسبة للاتحادات الآسيوية والأفريقية، ويقول القانون بإمكانية التحاق اللاعبين المحترفين في الأندية غير السورية قبل أربعة أيام منها، أي الرابع أو الخامس من تشرين الأول المقبل؛ وبالنسبة للشق الثاني من السؤال، يمكن القول أن لدينا فكرة كاملة ووافية من خلال إحصائيات جماعية للفرق وفردية عن جميع لاعبي المنتخب الذين ضمهم من خلال متابعة اللاعبين الذين تميزوا قبل وبعد فترة كورونا في الدوري السوري، وممن تألقوا سابقاً مع المنتخب ولم ستتح لهم الفرصة بسبب ظروف الإصابات وسواها، إذ سيكون المعسكر التدريبي للمنتخب فرصة لتحضيرهم وتجهيزهم.

وعن برنامج المذاكرات العملية والمباريات الودية الداعمة لتحضيرات المنتخب، أوضح المعلول: البرنامج التحضيري يتضمن المباريات الودية التي تمت مراسلة الاتحادين الإيراني والعراقي بشأنها: الأولى مع إيران في الثالث من أيلول المقبل، والثانية مع العراق في الثامن منه، دون أن يأتي رد رسمي بهذا الخصوص بسبب الظرف الصحي المتعلق بتفشي كورونا في إيران التي عاود اتحاد كرة القدم السوري مراسلة اتحادها الوطني مقدماً خيار تغيير مكان إقامة المباراة بانتظار التطمينات والرد الرسمي من هناك، وعلى أساس برنامج المباريات سيتم تحديد مدة المعسكرات التدريبية الداخلي في المحافظات السورية.

وبالنسبة للكيفية التي سيتعامل بها مدرب منتخب سورية لتنقية أجواء غرفة الملابس التي شهدت خلافات وانقسامات سابقة تسببت بفشل المنتخب في بطولة آسيا الأخيرة وخروج المنتخب من الدور الأول بخيبة كبيرة بعد طفرة ملامسة الوصول إلى نهائيات كأس العالم في روسيا ٢٠١٨، أكد: التماسك سيكون بطانة المنتخب التي تظلله وتعزز فيه الحالة التي يحرص على تكريسها وهي حالة التناغم والمحبة والألفة داخل وخارج الملعب ليكون المنتخب قادراً على الوصول إلى أبعد حد ممكن في التصفيات المشتركة وتحقيق حلم الوصول إلى نهائيات مونديال قطر.

هل يفعلونها؟!

ختاماً، يمكننا القول أن الانطباع الأولي المستقى من حوارنا مع المدرب معلول تلقينا منه أسيست الثقة والتفاؤل، فهو مؤمن بالجمهور السوري بما يمثله من عون وسند ومؤشر لبوصلة النجاح، وواثق بلاعبيه وقدرتهم على الوصول إلى أبعد حد مرتجى، ومثمناً الدور الإيجابي للقيادة الرياضية التي سلمته مقاليد الأمور مرتبطة بالدعم اللامحدود ومقومات النجاح لمهمة المنتخب، فهل سيفعلها ابن تونس الخضراء مع نسور قاسيون، ويحلقون بحلمنا في فضاء المونديال؟!

كورونا يغرق أنديتنا.. الإدارات غير مؤهلة والعجز المالي تجاوز الحدود



«البعث الأسبوعية».. عماد درويش

لم يكن أشد المتشائمين يتوقع حجم المعاناة التي عاشتها الرياضة على المستويين الدولي والمحلي، حيث دخلت في نفق مظلم في ظل تفشي فيروس كورونا الذي ألحق أضراراً جسيمة بالرياضة المحلية وبات الخطر الأكبر عليها، وساعده في ذلك عدم وجود استعداد لدى أنديتنا للتعامل مع أي مستجد أو طارئ في ظل العشوائية التي تنتهجها إداراتها المتعاقبة.

غياب التأهيل

أغلب أنديتنا المحلية لم يدرك أهمية التصدي للأزمات ومنها هذا الفيروس، فالإدارات غير مؤهلة وغير متفرغة للعمل الرياضي، وليس لديها الفكر الاستراتيجي لمواجهة الطوارئ، ولا تملك أي فكر لمواجهة أية تحديات خارجة عن الإطار الرياضي. وعليه، فأنديتنا غير محترفة ويشوب عملها الهواية، ولا تملك المعايير التي تنقسم إلى رياضية وبنية تحتية وإدارية وقانونية ومالية، وغيرها. فإدارياً يجب أن يكون أعضاء الإدارة متبعين لدورات تنظيم وإدارة لقيادة العمل، الأمر غير المتوفر بأساسيات عمل إدارة أي نادٍ، مع وجود هيكل تنظيمي يضم جميع أنواع العمالة (مدير تنفيذي، مسؤول مالي.. إلخ)، وأن يكون الجميع مؤهلين، كل في مجال تخصصه، فالتخصص الإداري مطلب ضروري لتحقيق التطور اللازم. لكن، وللأسف، كل هذه الأمور غير متوفرة في أنديتنا.

تخطيط مفقود

أما مالياً، فالمهم عند أنديتنا هو كيفية تحصيل الاشتراكات السنوية والتعاقد مع اللاعبين، دون وجود أساس صحيح لذلك، مع اعتمادها على استثماراتها الذاتية الضعيفة، وبيع التذاكر للجماهير التي تواكبها، أو على إعلانات للشركات والماركات التجارية، وإعانات الاتحاد الرياضي العام، وهذا يضعها بوضع لا تحسد عليه في ظل أخطاء الاحتراف المتبع حالياً. ومن المتعارف عليه أن المعايير المالية تتضمن قوائم مالية سنوية ووجود موازنة تحدد الموارد والأرباح والخسائر، من حيث دفع رواتب اللاعبين والأطقم الفنية والإدارية.. والأكيد أن أنديتنا لا تمتلك كل هذا الكلام.

ولعل فترة التوقف القسري بسبب فيروس كورونا أثرت على مداخيل الأندية، ما جعل الكثير منها يلجأ إلى اتحادات الألعاب أو الاتحاد الرياضي لإنصافه. ولو امتلكت أنديتنا الفكر الاحترافي لما وصلت إلى ما آلت إليه من ترهل، وما زاد الطين بلة عند إيقاف النشاط الرياضي هو العجز الذي أصاب أنديتنا باستثناء بعض أندية الهيئات، حيث لم تستطع الوفاء بالتزاماتها، ما يرسم أكثر من إشارة استفهام على عمل أنديتنا وأهلية أعضاء إداراتها؟

ألعاب منسية

تبعات كورونا لم تؤثر فقط على لعبة معينة، بل شملت كافة الألعاب، خاصة الفردية وألعاب القوة، والتي كانت تتحضر بشكل جيد للمشاركات الخارجية، إلا أن فترة التوقف جعلت كل تلك الخطط تذهب أدراج الرياح.

وبعض تلك الاتحادات عمد إلى إلغاء البطولات المحلية، مثل اتحاد الريشة الطائرة، أو تأجيل البطولات، مثل اتحاد المصارعة ورفع الأثقال وغيرهما، والبعض الآخر عمد إلى إلغاء مشاركاته الخارجية التي كان يعول عليها كثيراً، سواء على الصعيد القاري أو العالمي. كما أن منظمي هذه الأحداث المؤجلة باتوا يواجهون تحدياً يتمثل في ضرورة إعادة إدراج وترتيب هذه الأحداث في إطار روزنامة رياضية مزدحمة، وهو أمر بات مستبعداً في المدى المنظور، سيما وأن الفيروس مازال يحصد الكثير من الإصابات عالمياً.

ورغم ذلك، فإن بعض الاتحادات (القدم والسلة والطائرة واليد) استأنف نشاطاته المحلية، دون حضور جماهيري وبملاعب وصالات فارغة.

جانب لياقي

لا شك أن فترة التوقف التي امتدت لثلاثة أشهر تقريباً أثرت على الناحية الفنية والبدنية للاعبين والحكام معاً، وظهر ذلك جلياً على اللاعبين خلال منافسات الدوري، حيث اتضحت الزيادة في أوزان الكثير منهم، إضافة لذلك هبط المستوى الفني كثيراً، ولم نشاهد مباريات قوية ولا أداء عالياً كما كان قبل فترة التوقف.

ولم يقتصر الأمر على اللاعبين فقط، بل شمل أيضا قضاة الملاعب (الحكام) الذين تأثروا أيضاً بفترة التوقف، فلم يتحضر أغلبهم بشكل جيد، وكثرت أخطاؤهم خلال قيادتهم للمباريات، وتعالت الأصوات عليهم، ما أدى لتدخل القيادة الرياضية لفرض عقوبات بحق المخطئين الذين لم يكونوا أهلاً للثقة، كما حدث خلال مباريات دوري كرة القدم، وهذا الأمر يقع بالدرجة الأولى على الحكام أنفسهم الذين لا يريدون تطوير أدائهم، وعلى عاتق اتحادات الألعاب ثانياً، وقد يكون العذر لهم هو الوضع المادي الصعب لاسيما للحكام الذين يعتمدون على التحكيم كمهنة أساسية للعيش.

كلمة أخيرة

ومع استمرار انتشار الفيروس الذي تسبب بتجميد النشاط الرياضي بشكل شبه كامل، وفرض قيود صارمة على حركة التنقل والسفر في أرجاء متفرقة حول العالم، لم تكن الصدمة وخيبة الأمل التي أصابت عشاق الرياضة من توقف البطولات، بأكبر من صدمة ومصيبة العاملين في مجالها والمستثمرين فيها، ذلك أن توقف البطولات يعني خراباً لهذا السوق الرابح، فالخسائر المالية كانت كبيرة جداً، ومن المتوقع أن تتخطى الأرقام المعلن عنها؛ فهذه الأزمة القاتلة التي لا تُعرف لها ساعة نهاية، جعلت أندية كثيرة تسارع باتخاذ العديد من الإجراءات للتقليل من حجم الخسائر المنتظرة؛ وما لا شك فيه هو أن عودة النشاط الرياضي في ظل استمرار الوباء أمر لا مفر منه على أمل أن تعود النشاطات والمشاركات الخارجية إلى وضعها الطبيعي.



قانون بوسمان.. ركيزة العبودية الحديثة في عالم كرة القدم

«البعث الأسبوعية».. سامر الخيّر

«عبودية الأجر لا تختلف كثيراً عن عبودية الرقيق»، بهذه العبارة اختصر المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي تاريخاً من التعريفات والمعاناة من العبودية بكافة أشكالها، والتي – للأسف – لا يبدو أن لها نهاية قريبة، والمخيف أنها تتأقلم وتتكيف مع تطور الحياة، وتتوسع لتطال كافة مظاهر اهتماماتنا، فلا تفلت منها حتى الرياضة، وبشكل خاص معشوقة الجماهير الأولى، كرة القدم، حيث تعتبر بشكلها وقوانينها الحالية أكبر مثال صارخ للعبودية الحديثة (عبودية الأجر أو المال)؛ فالجميع يتداول أخبار اللاعبين، وعلى وجه التحديد سوق الانتقالات والصفقات الكبيرة، وكأننا في سوق نخاسة حقيقي، والفرق هو أن هذا البيع والشراء بتراض وتفاخر وإقرار من ملايين المشجعين عن قصد، أو غير قصد؛ وعند هذه النقطة، يمكننا القول أن كرة القدم تحولت من اللعبة الأكثر إمتاعاً إلى لعبة تسلب إنسانيتنا وترجعنا إلى عصور لم يكن للإنسان فيها أي قيمة.. يباع ويشترى كأي سلعة.

ويختلف الكثيرون حول هذه الظاهرة وسبب ازديادها وخاصة في السنوات العشرين الأخيرة في عالم الساحرة المستديرة، فمنهم من يراها حالة طبيعية لمواكبة الرياضة وتوسع رأس المال للاستفادة المتبادلة. ولكن السبب الحقيقي لدخول عالم المال كرة القدم، من الباب العريض، وتحكمه حالياً بكل مفاصلها، هو ما يعرف بـ «قانون بوسمان»، فكيف سمح هذا القانون بهذه الشراكة؟ وهل كانت هذه الظاهرة لتنتشر لولاه؟ كل هذه الأسئلة وغيرها سنجيب عليها من خلال عرض تفصيلي لهذا القانون وما تبعه من آثار.

بداية القصة

قانون بوسمان نظام يجيز انتقال اللاعبين المنتهية عقودهم «بشكل حر»، ودون موافقة النادي، وكذلك حرية انتقال اللاعب الأوروبي داخل نطاق دول الاتحاد الأوروبي، واعتباره كلاعب محلي؛ وقد بدأت فكرته عندما كان اللاعب البلجيكي جان مارك بوسمان يبحث، في عام ١٩٩٠، عن نادٍ جديد للانتقال له بعد أن انتهى عقده مع ناديه، لييج البلجيكي، وكان يأمل بالانضمام إلى نادي دنكيرك الفرنسي إلا أن مطالب نادي لييج بالحصول على مقابل مادي للتخلي عنه رغم انتهاء عقده حالت دون إتمام الصفقة.

ومع إصرار النادي البلجيكي على عدم السماح لبوسمان بالرحيل، رفع لاعب خط الوسط قضية استمرت في المحكمة لخمس سنوات، مستعيناً بخدمات المحامي جان لويس دوبون؛ ويمكن القول إن بوسمان نفسه لم يكن يتوقع أن صراعه الطويل للانتقال إلى فريق فرنسي مغمور سيغير تاريخ كرة القدم، كون القضية عرفت فيما بعد باسم «قانون بوسمان».

قبل وبعد

لوائح الفيفا في ذلك الوقت كانت تنص على ضرورة أن يكون هناك اتفاق بين النادي القديم والجديد للاعب الذي يريد مغادرة ناديه. وفي الواقع، مازالت الانتقالات حالياً تتم بنفس الآلية، لكن في السابق كان يحق للنادي القديم المطالبة بالمال للتخلي عن لاعبه، حتى وإن انتهى عقده، كما كانت تفرض القوانين قيوداً خاصة على اللاعبين الأجانب. وعلى سبيل المثال، لم يكن بإمكان فريق إنكليزي يلعب في دوري الأبطال أن يشرك أكثر من ثلاثة لاعبين أجانب في المباراة، بالإضافة إلى اثنين على مقاعد البدلاء، وكان يمكن شراء أي عدد من اللاعبين الأجانب لكن لم يكن ممكناً استدعاء أكثر من خمسة للمباراة الواحدة.

وبالعودة إلى بوسمان الذي تمّ تخفيض أجره، كما أجبر على اللعب مع الفريق الاحتياطي، ومن ثم مع فريق الشباب، فقد توجه لمحكمة العدل الأوروبية، وادعى أنه – كمواطن أوروبي – يجب أن يتمتع بحرية التنقل بين دول الاتحاد للبحث عن عمل، وطالب بتغيير نظام الانتقالات المعتمد في ذلك الوقت ليسمح للاعبين المنتهية عقودهم بالانتقال إلى أندية أخرى، لتقرّ المحكمة، في ١٥ كانون الأول ١٩٩٥، حكماً لصالح بوسمان من نقطتين أساسيتين: الأولى أنه لم يعد مسموحاً أن تطلب الأندية مقابلاً مالياً للتخلي عن لاعبيها المنتهية عقودهم، والراغبين بالانتقال إلى نادٍ آخر يتبع لدولة تحت لواء الاتحاد الأوروبي، كما تم منح اللاعبين الحق في التفاوض مع أي نادٍ قبل ستة أشهر أو أقل على نهاية عقدهم مع ناديهم القديم، والثانية أنه أصبح بإمكان الأندية الأوروبية الاعتماد على عدد لا محدود من اللاعبين المنتمين لدول الاتحاد الأوروبي.

إيجابيات بالجملة

ربما تكون أهم إيجابيات هذا القانون، ظاهرياً، إنهاء شكل من أشكال عبودية اللاعبين، حيث كان اللاعبون يعانون كثيراً من احتكار الأندية لحقوقهم، وتأثير ذلك بشكل سلبي على مسيرتهم. وما مثال بوسمان سوى عيّنة صغيرة عما كانت الأندية قادرة على القيام به، فقد أدى القانون إلى تحول ميزان القوى لصالح اللاعبين أمام الأندية، وأنهى عصر العبودية بشكل نسبي لتعيده تدريجياً صناديق الاستثمار مؤخراً، وبشكل أبشع وأكثر تقييداً، فرواتب اللاعبين شهدت ارتفاعاً مخيفاً، وخلال عشرة سنوات ارتفع معدل الرواتب في الدوري الإنكليزي، مثلاً، من ١١٠ آلاف جنيه إسترليني عام ١٩٩٥، إلى مليونين و٣٠٠ ألف جنيه إسترليني سنة ٢٠١٥، وهو أمر راجع إلى تحرر السوق الكروية، فمن يدفع أكثر يحصل على اللاعب الأفضل، وهنا وقعت المزايدات إلى أن بلغنا الرواتب الكبيرة التي نسمع عنها حالياً.

كما ساهم القانون بارتفاع وتيرة الانتقالات في أوروبا، حيث أصبحت خيارات اللاعبين الأوروبيين أكبر بكثير عند اتخاذ قرار الانتقال، وأصبح بإمكانهم اللعب في أي دوري أوروبي يريدونه دون أن يتم اعتبارهم كأجانب، وهو ما سرّع وتيرة الانتقالات بين الأندية والدوريات، وحفز تلاقح الثقافات الكروية، فمثلاً بين موسم ١٩٩٦ (أول موسم عرف تطبيق قانون بوسمان)، وموسم ٢٠٠٦، ارتفع عدد اللاعبين الأجانب في الدوريات الخمسة الأوروبية الكبرى (فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وإنكلترا وألمانيا) من ٤٦٣ لاعباً إلى ٩٩٨ لاعباً، أي نحو الضعف تقريباً.

حوّل القانون أندية كرة القدم إلى شركات ربحية، بسبب تحرر السوق الكروية اقتصادياً،



وصارت الأندية القوية مادياً قادرة على انتداب أفضل اللاعبين والتطور رياضياً، وهذا كان في صالح الدوريات القوية مادياً قبل إصدار القانون، فلمسنا تفوقاً كبيراً للأندية الإنكليزية والإسبانية مباشرة بعد خروج القانون إلى النور.

وارتفعت حقوق النقل والإعلانات وحقوق الرعاية، واستقطبت كرة القدم الأوروبية المستثمرين من كل أصقاع الأرض، وعلمت القنوات التلفزيونية أن اكتساب حقوق دوري من الدوريات الكبرى سيدر عليها ملايين اليوروهات، سواءً من المستثمرين أو من المتتبعين الذين أصبحوا يدفعون حقوق اشتراك سنوية، وطبعاً ازدادت أرباح الأندية، وأصبحت هذه الحقوق من أهم مواردها؛ وقد أعطانا توقف النشاط الرياضي بسبب تفشي جائحة كورونا فكرة واضحة عن أهمية هذه الحقوق بسبب ما تكبدته الأندية من خسائر.

سلبيات عميقة

من جهة أخرى، ارتفعت ديون كثير من الأندية مع ارتفاع قيمة الصفقات والرواتب التي طالب بها اللاعبون، وخاصة الأندية المتوسطة الدخل، وكل ذلك بسبب محاولة الحفاظ على أفضل لاعبيها وضمان التنافسية الرياضية. فقد عمدت البنوك إلى تقديم قروض كبيرة لأندية كرة القدم، نجا منها من يملك ضمانات كافية، ووقع في فخها بعض الأندية المتوسطة التي حاولت المضي قدماً مستغلة النظام المالي الجديد، وأفضل مثالين على ذلك نادي لاتسيو الإيطالي الذي أفلس، ونادي فالنسيا الإسباني الذي كان قاب قوسين أو أدنى من إشهار إفلاسه.

كما أثر القانون سلباً على اللاعبين المحليين، فالأندية كانت مجبرة على الاعتماد عليهم كونها لم تكن قادرة على استقطاب سوى عدد قليل من اللاعبين الذين لا يحملون جنسية البلد الذي تمثله.. وقتها، كانت المواهب الصاعدة من مدارس التأهيل تحصل على فرصتها الكاملة، وهو أمر لم يعد ممكناً مع حصول الفرق على إمكانية التعاقد مع أفضل اللاعبين من مختلف الجنسيات الأوروبية؛ وخير مثال على ذلك نادي الإنتر الإيطالي الذي كان في وقت من الأوقات لا يضم في تشكيله الأساسية أي لاعب إيطالي، والأمر نفسه ينطبق على تشيلسي الانكليزي، وقبل ذلك على ريال مدريد الاسباني، وهذا بدوره أدى إلى انعدام التنافسية في كثير من الدوريات الأوروبية، حيث ينحصر تواجد ٢٤ من أصل أفضل ٤٠ لاعباً في العالم في ثلاثة أندية فقط، هي ريال مدريد وبرشلونة وبايرن ميونيخ.

أشهر الصفقات

يعتبر انتقال اللاعب الهولندي إدغار دافيدز من نادي أياكس الهولندي إلى ميلان الإيطالي أول عملية انتقال بعد إقرار الحكم بقضية بوسمان، وقد حدثت بعد عام على إقراره. وانتقل أيضاً في وقتها الإيطالي جانلوكا فيالي من يوفنتوس الإيطالي إلى تشلسي الإنكليزي، وستيف ماكمانامان من ليفربول الإنكليزي إلى ريال مدريد الإسباني عام ١٩٩٩، وسول كامبل من توتنهام إلى أرسنال داخل إنكلترا عام ٢٠٠١، في واحدة من أبرز الصفقات التي تمت قبل انتهاء عقد اللاعب مع ناديه، بل من دون علمه حتّى، وجاي جاي أوكوشا من باري سان جيرمان إلى بولتون عام ٢٠٠٢، وإستيبان كامبياسو من ريال مدريد إلى إنتر عام ٢٠٠٤، وانتقل الألماني مايكل بالاك من بايرن ميونخ إلى تشيلسي الإنكليزي، كما رحل ديفيد بيكهام عن ريال مدريد الإسباني إلى لوس أنجلوس غالاكسي الأمريكي عام ٢٠٠٧، وماتيو فلاميني من أرسنال إلى ميلان ٢٠٠٨.

خلاصة القول

فتح بوسمان باباً جدلياً في عالم كرة القدم، وخلق تأثيراً مستداماً على الأندية واللعبة والمالكين واللاعبين أنفسهم، فهو سلم السلطة للاعب، كما يقول السير أليكس فيرغسون، المدرب السابق لمانشستر يونايتد، لذلك على الفيفا أن تقوم بمراجعة قانون بوسمان وتعديله، لأنه أعطى للاعبين الفرصة لإعلان عصيانهم، مع أن أهم ما يميز الرياضي هو الانضباط!!

«أسامة».. رحلة شائقة ومشروع إبداعي



قحطان بيرقدار.. رئيس تحرير مجلة أسامة

«أسامة» مجلةُ الطفلِ العربيّ، نشأتْ عليها أجيالٌ وأجيال، ولا تبرحُ ذاكرةَ كثيرٍ من الناس، وهي نقطةُ علامٍ في عالم مجلات الأطفال العربية، وعرّابةُ كثيرٍ من الأدباء والفنانين، والمرجعُ الكبير في الأدب والفنّ المُوجَّهَينِ إلى الطفل. كنتُ من مُتابعيها في طفولتي ومن الحريصين على اقتناء أعدادها، ولم أكن أظنُّ حينها أنني سأتشرّفُ يوماً بأن أكون رئيسَ تحريرها وهي المجلةُ ذات الخصوصية اللافتة بمُؤسِّسيها وكُتّابِها وفنّانِيها عبرَ سنواتٍ طويلةٍ تجاوزت الخمسين.

بدايةُ الرِّحلة

تعودُ بدايةُ عملي في مجال الإنتاج الفنيّ والأدبيّ للأطفال إلى العام ٢٠٠٠، لمّا عملتُ في إحدى دُورِ النشر المعروفة المختصة بالأطفال، فاطلعتُ حينها على منشوراتٍ كثيرةٍ تخصُّ الأطفالَ من قصصٍ ومُسلسلاتٍ وقصائد، مُدقِّقاً إيّاها ومُشرفاً على آليّة نشرها؛ كما ألّفتُ أعمالاً عدّة حينها، كان أكثرُها قصائدَ وأُغنياتٍ، ثم انتقلتُ مطلعَ عام ٢٠٠٣ للعمل مُدقِّقاً لغوياً ومُؤلِّفَ أغنياتٍ للأطفال في إحدى شركاتِ الإنتاج الفنيّ التي تُمثِّلُ قناةً تلفازيّةً مشهورةً مُوجَّهةً للأطفال، وقضيتُ فيها سنواتٍ، وكانَ أن عُرِضَتْ لي أغنياتٌ كثيرةٌ في هذه القناة كشاراتٍ وأغنياتٍ داخليةٍ لأفلام رسوم مُتحرّكة معروفة، ثم توسّعتِ الدائرةُ، وصرتُ أعملُ في هذا المجال لعددٍ من دُور النشر وشركاتِ الإنتاج الفنيّ وقنوات الأطفال؛ وفي مطلع عام ٢٠١٦، تشرّفتُ بأنْ كلَّفَتْني الهيئةُ العامّةُ السُّوريّة للكتاب، مُمثّلةً بمديرها العام (سابقاً) الأستاذ توفيق أحمد، بمهام رئيس تحرير مجلّة أسامة، المجلّة السُّوريّة العريقة التي تصدرُ عن وزارة الثقافة/ الهيئة العامّة السُّورية للكتاب/ مديرية منشورات الطفل، وابتدأتُ رحلتي الشَّائقةُ معها.

الأشهرُ القليلةُ الأولى

كانتِ الأشهرُ الأولى لي في المجلّة مرحلةَ بحثٍ واستكشافٍ في تاريخها وأرشيفها الغنيّ الذي استفدتُ منه كثيراً، وأشيرُ هنا إلى أنّ للمجلة فضلاً على كلٍّ من عملَ فيها، ولا يمكنُ إهمالُ أيِّ مرحلةٍ من مراحلها بأشخاصِها جميعاً، بدءاً بمرحلة سعد الله ونوس، مروراً بمرحلةِ دلال حاتم، وبيان الصفدي، وآصف عبد الله، ورباب هلال، وانتهاءً بمرحلة ريم محمود، معَ حفظِ الألقاب، فهم وغيرهم ترأّسُوا تحريرَ المجلة، وبذلَ كلٌّ منهم جهدَهُ في سبيل تطويرها، وكذلك لا أنسى الكاتب عادل أبو شنب، والشاعر سليمان العيسى، والفنّانين: ممتاز البحرة، ونذير نبعة، ولجينة الأصيل، وغسّان السباعي، وأنور دياب، وأسعد عرابي، وإلياس الحموي، وقحطان الطلاع، وغيرهم من الأعلام الذينَ تركوا بصماتٍ إبداعيةً خالدةً ممّن لا يتّسعُ المقامُ لذكرهم جميعاً.

كذلك كانتِ الأشهرُ الأولى مرحلةَ تعارُفٍ وعملٍ مع فريق المجلة: المشرف الفني رامز حاج حسين، والمخرج الفني هيثم الشيخ علي، والكاتبة أريج بوادقجي أمينة تحرير «أسامة» (سابقاً) ورئيسة تحرير مجلة «شامة» حالياً، وديمة إبراهيم، وعلا حسامو عضو هيئة التحرير (سابقاً)، ثم في مرحلةٍ لاحقةٍ بتول يوسف، وزبيدة الطلاع، وغيرهم مع حفظ الألقاب للجميع. وكذلك هيئة تحرير المجلة: المُربّية الأديبة مها عرنوق، والأستاذ محمود البيطار، والفنّان الراحل أمجد الغازي، والفنان أحمد حاج أحمد، والفنانة ضحى الخطيب، إضافةً إلى فريقٍ جميلٍ وواسعٍ من الكُتّاب والفنّانين، وضعتُ يدي بأيديهم، وتمازَجتْ خبرتي مع خبراتهم لنبدأ الرِّحلةَ الشّائقةَ نحوَ الأطفال الأحبّة برعايةِ الهيئة العامّة السُّوريّة للكتاب، والتي تَجسّدتْ بهاجسِ التطوير الدائم للمجلة شكلاً ومضموناً، واستحداث أبوابٍ جديدةٍ فيها بأسلوبٍ جديدٍ وشائق، ثم تحقيق أكبر تواصُلٍ مع الأطفال عبر صفحة المجلة على الـ «فيسبوك»، وعبرَ الأنشطة الكثيرة في المدارس ونوادي الأطفال والمراكز الثقافية، ولعلّ من أبرزها الزيارة التي قامَ بها فريقُ المجلة، بالتعاون مع فرع ريف دمشق لـمُنظّمة طلائع البعث، إلى إحدى نقاط الجيش العربيّ السُّوريّ على خطوط التماس بريف دمشق، وأهدى خلالَها الجنودَ البواسل نُسخاً من العدد ٧٦٠ (أيلول ٢٠١٦) الّذي تَضمّنَ تحيّةً للجيش العربيّ السُّوريّ، وكذلك المهرجان الطفليّ «وطن، قمر، وعصافير» الذي أقامتْهُ المجلّةُ بالتعاون مع فرع دمشق لاتّحاد الكُتّاب العرب برئاسة الدكتور محمد الحوراني، وشاركَ فيه أطفالٌ موهوبون في الشِّعر والقصّة وأطفالٌ يمتلكون حسَّ النقد الأدبيّ أبدَوا آراءَهم في نُصوصِ أقرانهم، وذلك في حزيران ٢٠١٦.

وتستمرُّ الرِّحلة...

هكذا كانتِ الأشهرُ القليلةُ الأولى، ثمّ تابعَتِ المجلّةُ الرِّحلةَ برعاية الهيئة العامّة السُّوريّة للكتاب، مُمثّلةً بمديرها العام الدكتور ثائر زين الدين، ولاتزال، فكانَ لها في السَّنواتِ الأربع الأخيرة أنشطةٌ وفعالياتٌ كثيرةٌ، إذ شاركتْ على سبيل المثال في حفل تكريم الفنّان الراحل ممتاز البحرة قُبيلَ وفاتِهِ بقليلٍ في ثقافي أبي رمانة، وأقامت في مقرِّها معرضاً فنياً للأطفال تحيّةً له، وأقامتْ أيضاً معرضاً تكريمياً للفنّانة لجينة الأصيل، وآخر للفنّان قحطان الطلاع، وبالتَّزامُن مع ذلك أصدرتْ أعداداً تكريميّةً لكُلٍّ من الفنّانينَ الثلاثة احتوتْ نماذجَ عدّة من أعمالهم القديمة في المجلة، وأصدرتْ أيضاً عدداً تكريمياً للفنّان الراحل أمجد الغازي. وفي ذكرى مرور خمسين عاماً على صُدور المجلة، صدرَ عددٌ خاصٌّ هو العدد ٧٨٩ (شباط ٢٠١٩) الذي كانت موادُّهُ كلُّها مُنتقاةً من أرشيف المجلة القديم ومُعبِّرةً عن مراحلَ عدّة من تاريخِها نُصوصاً ورُسوماً؛ كما أقامت المجلةُ في تشرين الأوّل ٢٠١٩ «معرض فنّاني مجلّة أسامة» في مكتبة الأسد بدمشق، مع استمرار الأنشطةِ التَّفاعُليّة للأطفال وتوزيع أعداد المجلّة مجّاناً عليهم في دمشق وخارجها، وكذلك العمل المستمر على استقطاب الكُتّاب والفنّانين، ولاسيّما الشّباب الجُدد، وتدريبهم وتطوير تجاربهم وتعزيز حضورهم، والعمل على تشجيع الأطفال الموهوبينَ ونشرِ إبداعاتهم على صفحات





المجلّة في كلّ عددٍ، والعمل على تطوير المجلّة شكلاً ومضموناً، وقد كان التطوير الأخير في العدد ٨٠١ (شباط ٢٠٢٠). وفي فترة الحجر الصحيّ المنزليّ، نهضت المجلّة بمبادرةٍ تفاعليّة للأطفال عبرَ صفحتِها على الـ «فيسبوك»، تجسّدتْ بنشرِ لوحاتهم وكتاباتهم وصورهم على صفحتها، كما أقامت لهم مسابقةً فنيّة بعنوان «الرسّام الصّغير» بالتعاون مع ثقافي جديدة الخاص بريف دمشق، ومسابقة «أصدقاء أسامة.. لحظاتكم الجميلة معنا».

مشروعٌ إبداعيٌّ واحدٌ

ولاتزالُ المجلّةُ مُستمرّةً في الصّدور بهمّةِ فريقِها وهيئةِ تحريرِها وكُتّابِها وفنّانيها وبجُهودِ الهيئةِ العامّة السّوريّة للكتاب، ولاتزالُ الأنشطةُ والفعالياتُ مُستمرّةً أيضاً، وكذلك الخطط والطّموحات لتطوير العمل للطفل عموماً؛ وعلى الرّغم من الظّروف الصّعبة والمعوّقات والتّعب وبَذْلِ الجهد المُستمرّ، أشعرُ مع كلّ افتتاحيةٍ أكتبُها للمجلة، ومع كلّ قصيدةٍ أنشرُها فيها، ومع كلّ مادّةٍ أقرؤُها وأُحرّرُها وأُدقّقُها وأُصقلُها، ومع كلّ لوحةٍ أُقيّمُها، بفرحٍ كبيرٍ وبتفاؤلٍ وأمل، وأتيقّنُ أنّ الآتي سيحملُ في طيّاتِهِ ما يقرُّ العينَ ويُبهجُ القلب، وقد استبشرتُ خيراً بمجلّة أسامة أكثر فأكثر لمّا شرّفتْني وزارةُ الثقافة بمنحي جائزةَ الدّولة التّشجيعيّة في مجال الآداب لعام ٢٠١٨، وقد قلتُ في حفلِ توزيع الجوائز حينَها:

«ولا ريبَ في أنّ حصولي على هذه الجائزة سيُشكّلُ حافزاً كبيراً لي على المضي قُدُماً في رحلتي في عالم الأدب التي بدأتُها في العام ٢٠٠٠م، وبمُوازاةِ ذلك سيُشكّلُ حافزاً كبيراً لي أيضاً على مواصلة رحلتي الشّائقة في مجلّة الطّفل العربيّ أسامة، فهاتانِ الرّحلتانِ صنوان، ومشروعٌ إبداعيٌّ واحدٌ بالنسبة إليّ».

نعم! إنّ العملَ للأطفال مشروعٌ إبداعيٌّ بالنّسبة إليّ لا أزالُ أسعى في سبيلِهِ أنا ومجموعةٌ من المُحبّين المُخلِصينَ والدّاعمينَ الكِرام في كلّ حال.

حلب المشرقة من البرزخ

هل كان الوقت متجمداً في أعصابي إلى درجة هذا الأفق الغامض؟ أم أنني أنجبتُ للوقت أوقاتاً مشرقة؟ تساءلتُ قلعة حلب الشامخة في البرزخ، وأكملت مع المتنبي: حلب أنت قصدنا والسبيل.

صوت القلعة توءم صوت أمي، لذلك هو زمرة دمي التي ستظل مشرقة من البرزخ لتزرع أرواح الشهداء مثل الانتصارات في الأزمنة الغرائبية والاغترابية والوحشية والواقعية والافتراضية، ولن نحيد عن مستقبلنا ما دامت أبجديتنا تعلّم العالم الحضارة والإنسانية.

لم تغترب القلعة، ولم تغترب روحي، وكل ما فينا ينبض بوطننا الأمّ سورية الحبيبة وهي تشمخ بانتصاراتها المتوالية على التدمير والتخريب والحروب والخيانات والقوانين الحصارية الوحشية. وأينما استدرت أشرق وجهها مع وجه قائدها وشهدائها وجيشها وشعبها الطيب المتجذر مثل حجارها وأشجارها وسمائها وقمرها ونجومها ولغتها الأولى.

لم أنم بطمأنينة منذ قرون، هكذا بدت ملامحي هناك، ولكن السلام اتضح أكثر حينما حملتُ ملامحي وعدتُ أبداً لأستنشق الوميض القادم، والزمن الآتي.

لا أعرف كم مرّ من الأحزان والشهداء والدمار على لحظة الانفجار الأول منذ بدأت حربهم علينا، لكنني أعرف أن الضوء الأرجواني في آخر النفق سيضيء الأزلية والأبدية. وكان أن اتسع الوميض وهطلت الأسئلة مثل يقين الأجوبة ياسميناً في كل مكان.

لم يكن العالم يدرك أننا كلما تلفظنا باسم سورية هطل الياسمين وفاض في البحار والمحيطات والأرواح والجراح والصحارى واللغات، وفاح نقاؤه مع كل حركة هواء، معطراً الكرة الأرضية وشاشاتها الافتراضية.

الياسمين أسطورة قديمة روتها وما زالت ترويها رقيمات المكتبات بين أوغاريت وإيبلا وتدمر ومعلولا وقلعة دمشق وقلعة حلب.

آهٍ، أيتها القلعة، ما زلت ياسمينة غير مرئية بين حجارتك وألوان سمائك، أتابع القادمين إليك من مختلف دول العالم، لأراهم مدهوشين من عراقتك، وتاريخك، وحضورك في الزمن القادم، وهو يردد: حلب في عيوني. الله، ما أجمل وأعمق عيونك سيادة الرئيس، خصوصاً وأننا نرى فيهما سماء سورية وياسمينها وجذورها العتيقة وأرواح شهدائها المعتقة بالنصر.

هل ما زال الوقت متجمداً؟

ذاب الوقت وانصهرت الأزمنة، وكل شيء تكاشفَ مع كل شيء، وتلاشت الظلمات والظلام، ولم يترسب في أعماق الوطن سوى الأرواح الطاهرة، وبينها روح أبي المطل بملامحه من المقبرة.

منذ أربعين عاماً وأبي يدعونا من بيته الأخير، ومنذ أكثر من تسعين عاماً وأمّي تروي لنا صمودها على المحن والحروب، فلا الحرب العالمية الأولى بقيت، ولا الثانية، ولن تبقى أية حرب على هذه الأرض.

لكنني لماذا كلما نظرت إلى أمي وجدت أطرافها لا تتحرك، وعيناها لا تريان، وعقلها اختطفه الزهايمر، والظلم ما زال عاطباً لقلبها، بينما إرادة الحياة ما زالت باقية مثل شمس ستشرق، دائماً، غداً؟

لم تعد الاحتمالات تحتمل احتمالاتنا، لأن الوقت يضيق وأرواحنا تتسع.

ربما، سيعلم أولادنا أننا أصبحنا أشلاء، ثم أنحاء، ثم عدنا إلى أجسادنا بعدما عبرتْ أرواحنا اللهب، أو بعدما تغنت أحزاننا بالقصب، أو ربما، لن يعلم الآتي كم مرّ على الحاضر من ماضٍ يئنّ، لكنه استعاد تكويناته، وأحرق الوقت، وجعل أحلامنا أجنحة للريح والنار والتراب والماء والهواء، لعلها تكتمل العناصر مع اكتمال الوطن بدراً، أو لعلها تنزع المفردات المؤلمة عن ملامحنا، لنعيد البراءة إلى الكون ونحصد الموسيقى.

غالية خوجة

عطر الليل

شهد عقدا الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي صعود وازدهار المسرح الاستعراضي الغنائي في العالم العربي، وتحديداً في لبنان، من خلال المسرح الذي اقترحه الأخَوان رحباني على جمهور المسرح العربي، وحققا من خلاله نجاحاً منقطع النظير، كان ركيزته الصوت الذهبي للفنانة فيروز التي اضطلعت ببطولة تلك الأعمال المسرحية التي تم تقديمها في لبنان وسورية بشكل أساسي، ولا يزال جمهور البرنامج الفني لمعرض دمشق الدولي يتذكر تألق الفرقة الفنية الرحبانية بعروضها المتألقة غناءً واستعراضاً وجرأةً في المواضيع التي قدموها.

من أهم سمات المسرح الغنائي الاستعراضي الذي قدمه الرحابنة اعتماده على صوت فيروز كرافعة للعروض المسرحية، بالإضافة إلى بعض الأصوات الغنائية الأخرى التي لم تنل ما نالته فيروز من مجد وشهرة، هذا عدا عن عناصر الفرقة الراقصة من شبابٍ وشابات متمرسين بأداء فنون الرقص الشعبي اللبناني، في وقت أُخِذ على تلك الأعمال المسرحية الاستعراضية ضعف المادة الدرامية فيها، وهو الأمر الذي لم ينكره القائمون عليها ليقينهم أن الهدف الأول كان تقديم الفن الغنائي والموسيقي للأخوين رحباني، وليس تقديم أعمال درامية تنافس مثيلاتها من التجارب المسرحية العربية التي تألقت بدورها في ذلك الزمن والتي كان مهرجان دمشق المسرحي شاهداً على معظمها.

من أهم الأعمال المسرحية التي قدمها الرحابنة وفيروز نذكر مسرحية «بيترا» التي تروي حكاية البطولة والصمود في وجه الغزاة والطامعين، وكيف يتحول الضعف إلى قوة في الملمّات والأزمات؛ كما نذكر عناوين أهم أعمالهم: «جبال الصوان» و«الشخص» و«ميس الريم» و«ناس من ورق» و«صح النوم» و«هالة والملك» و«جسر القمر» و«ناطورة المفاتيح». والواقع أن تجربة الرحابنة وفيروز في المسرح الاستعراضي تكاد تكون وحيدة زمانها في مسيرة المسرح العربي، ربما باستثناء التجربة الرائدة لرائد المسرح السوري والعربي أحمد أبو خليل القباني في كلّ من سورية ومصر، في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر، نظراً لما يتطلبه المسرح الاستعراضي الغنائي من إمكانيات بشرية هائلة ومادية باهظة باعتبار أن هذا النوع من المسرح لا يحتمل التقتير في متطلبات العرض التي يجب أن تكون متكاملة وأخاذة وجذابة.

وقد يكون صحيحاً قولنا أن أحداً بعد الرحابنة لم يحاول تناول النصوص التي كتبوها برؤى فنية متجددة، وشذّ عن القاعدة المخرج المسرحي السوري يوسف شموط، الذي تعرف أعمالَه المسرحية مسارحُ حماة مدينةً وريفاً، حيث سبق وأن قدم فيها عدداً كبيراً من الأعمال المسرحية تم عرض بعضها خارج حدود المحافظة وهي أعمال درامية بحتة نهلت مواضيعها من عيون الأدب المسرحي العالمي والعربي والمحلي؛ لكن شموط في السنوات الأخيرة أخذ ينحو منحى مختلفاً من خلال خوضه غمار مغامرة مسرحية بكل معنى الكلمة، عندما أخذ يتناول نصوص الرحابنة المسرحية ويقدمها برؤى فنية جديدة، كما في عرض «عطر الليل» الذي استضافته مديرية المسارح والموسيقا مؤخراً على خشبة مسرح الحمراء بدمشق. «عطر الليل» مستوحاة من مسرحية الأخوين رحباني «أيام فخر الدين» التي قدماها في أواسط ستينيات القرن الماضي، وحققت حينذاك نجاحاً كبيراً، وقد وجد المخرج شموط في نص هذه المسرحية ما دفعه لتقديمها في الظرف القائم حيث تتهدد الأخطار الوطن من كل اتجاه. تألقت في العرض الفرقة الاستعراضية «رمال للمسرح الراقص» التي قدمت مجموعة من الرقصات التي عكست المستوى المتقدم للتدريب الذي نالته الفرقة على يد المصممة والمدربة غيداء محمد، كما تألقت مجموعة الممثلين الذين جسّدوا شخصيات العمل، وأخص بالذكر الفنانة ساندي جربوع التي جسدت الشخصية التي جسدتها فيروز في المسرحية الأصل، وقد ملأت جربوع الفضاء المسرحي بحيويتها ورشاقتها، وكانت بالفعل نقطة الارتكاز في المشهدية المسرحية دون أن نغفل الجهود الجماعية المشتركة لأسرة العمل الفني دون استثناء، كما استحوذ صوت المغنية ساندي جروع على بالغ الإعجاب بسبب أدائها المتقن لأغاني فيروز.

بقي أن نذكر أن هذه هي التجربة الثالثة للمخرج يوسف شموط في إعادة الروح لمسرح الرحابنة بعد تقديمه لمسرحيتَي «المحطة» و«ناس من ورق»، في وقت سابق، على مسارح حماة، بعد مسيرة مسرحية طويلة قدم فيها عدة أعمال مثل: «السيدة الفاضلة» و«السيد صفر» و«قبل أن يذوب الجليد» و«ضوء الشمس» و«الموت والعذراء».

جوان جان

لأجلِ صورةٍ لائقةٍ بالمرأة في أدبِ الأطفال



البعث الأسبوعية ـ قحطان بيرقدار

كثيرةٌ هي المقالاتُ والدِّراسات التي تناولتِ الحكايةَ الشَّهيرة «ذات القبّعة الحمراء» بصياغاتها العالمية المُتعدّدة، والمُشتهرة أيضاً باسم «ليلى والذئب»، ونرى في بعضِ هذه المقالات والدِّراسات أنّ هذهِ الحكايةَ الشَّهيرةَ ذاتُ دلالاتٍ ورموزٍ جنسيةٍ بحتة، ففيها الخوفُ من الاعتداء الجنسيّ، وفيها جوانبُ عدّة تتّصل بالخبرة الجنسية لدى المرأة، كما تُقدِّم صورةَ الفتاة السَّاذجة التي لا يُمكنُها التمييز بين الذئب والجدّة، ولا يُسمَح لها باستكشاف أيّ شيءٍ حتى في غرفة جدّتها.. ولعلّ أبرزَ ما قيلَ في ذلك التأويلُ، أو التحليل المعروف، الذي قدّمَهُ حولَ هذه الحكاية عالمُ النفس والفيلسوف الألمانيّ الأمريكيّ «إريك فروم» (١٩٠٠ ١٩٨٠).

صُوَرٌ سلبيّةٌ للمرأة

ممّا سبقَ، وبعيداً عن التعميم والأحكام المطلقة، وعلى الرغم من الصُّور المشرقة المرسومة للمرأة في شطرٍ من أدب الأطفال عامّةً، والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ، إلا أننا لا نستطيعُ أن نُنكِرَ أننا في شطرٍ آخر من أدب الأطفال عامةً، قديمه وحديثه، نتلمّسُ صُوراً سلبيةً للمرأة تحتاجُ إلى دراسةٍ وتأمُّلٍ وإعادةِ نظر؛ ففي بعضِ قصصِ الأطفال المستقاة من الموروث الأسطوريّ والدّينيّ (وأؤكّدُ كلمة «بعض» في غيرِ موضعٍ من هذا المقال)، تُصوَّرُ المرأة على أنها مُحرِّضٌ على الخطيئة، بل رمزٌ لها، وأنّ مكانَها الوحيد هو البيت، وأنها تابعةٌ للرَّجُل، وخاضعةٌ له، وأنها كثيرةُ الكلام، وتُفشي الأسرار. وفي شطرٍ من حكايات إيسوب ذات التأثير العميق في أدب الأطفال بنُسَخِها الكثيرة، نرى المرأةَ مرتبطةً بالناحية الجنسية تحديداً، أو نراها مثاراً للسُّخرية. وفي بعض القصصِ العالميّة المشهورة التي ينتمي مُعظمُها إلى أدبِ الأطفال الغربيّ، وغيره، وتربّتْ عليها أجيالٌ وأجيال، وحُوِّلَ بعضُها إلى أفلام رسومٍ مُتحرّكة، يستمرُّ تكريسُ الصُّورِ السلبيّة للمرأة بوصفها ساحرةً ماكرةً، أو مُشعوذةً، أو غولةً، أو زوجةَ أبٍ شِرِّيرةً، أو ساذجةً لا حول لها ولا قوة، تنتظرُ الرَّجلَ القويَّ الشُّجاع ليُغيّرَ مصيرَها البائس.. إلى آخرِ ما هنالكَ من صُورٍ سلبيّةٍ للمرأة في أعمالٍ بارزةٍ أخذتْ حظّاً كبيراً من الشُّهرة في أنحاء العالم.

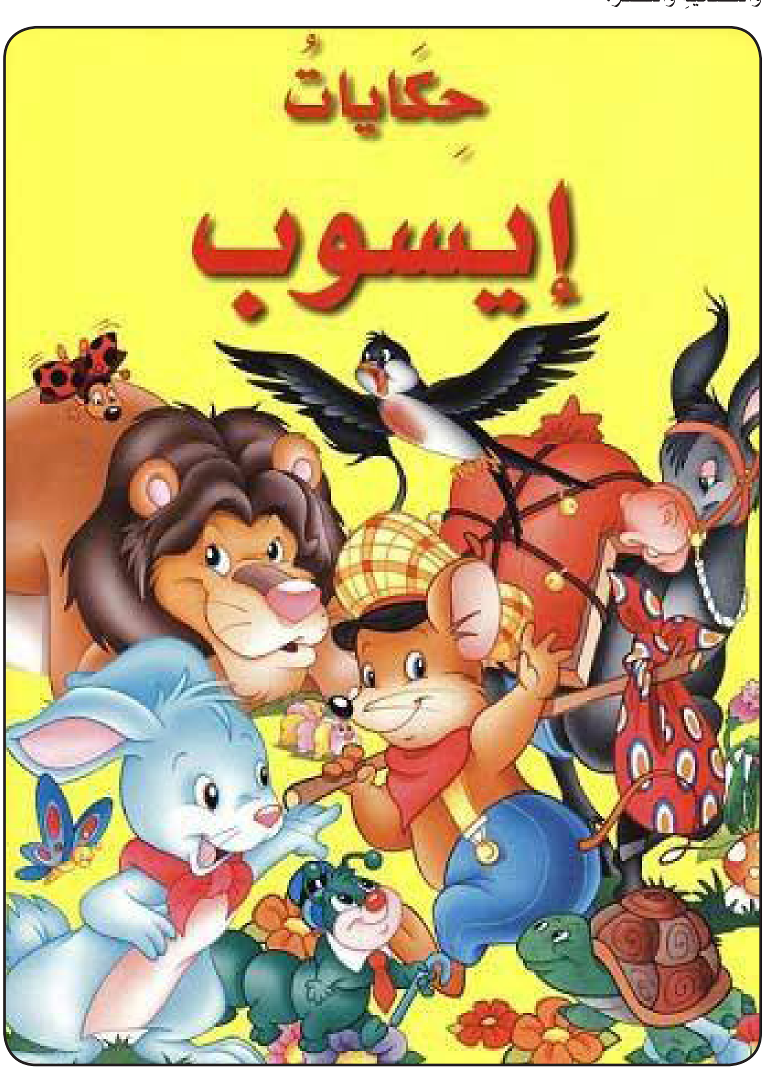
من جهةٍ أُخرى، نلاحظُ أنّ ملامحَ هذهِ الصُّور السلبيّة للمرأة لاتزالُ مُستمرّةً حتّى الآن في شطرٍ من آداب الشُّعوب، ومنها أدب الأطفال العربيّ، فكثيراً ما أقرأُ قصصاً مُوجَّهةً إلى الأطفال، منها ما يكونُ في المسابقات التي أشتركُ في تحكيمِها، ومنها ما يَصِلُني للنشر في مجلة أسامة، ومنها ما يكونُ مُقدَّماً للنَّشر في بعض المُؤسّسات العامّة والخاصّة، فألاحظ فيها ملامحَ من الصُّور السلبية للمرأة كأنّها مُسلَّماتٌ لا محيدَ عنها. فعلى سبيل المثال، تُصوَّرُ الأمُّ داخلَ الأسرة بثيابٍ تُشبهُ ثيابَ الخادمات، في جلسةٍ عائليّةٍ، وهي تكوي الملابسَ، في حينِ أنّ الأبَ (رَجُل الثقافة الوحيد في المنزل) يجلسُ بكامل أناقتِه، ونظّارتُهُ على عينيه، يتصفّحُ كتاباً، والأطفالُ يلعبون حولَهما؛ وفي مثالٍ آخرَ، تُصوَّرُ الفتاةُ على أنّها تابعةٌ خائفةٌ تنتظرُ الحمايةَ من الرَّجُل، فهو الوحيدُ القادر على التفكير والكلام والفعل وحلِّ المشكلات. ولا يختلفُ الأمرُ في القصص التي تتّخِذُ الحيواناتِ والحشراتِ والجمادات شخصياتٍ لها على سبيل الأنسنة، فالبطّةُ لا تملكُ إلّا أن تبيضَ، وتعتني بالصِّغار، وعملُ الدُّودةِ الأبرز هو أنّها تغسلُ ثيابَ زوجِها، وتتعبُ جداً في سبيل ذلك.. ولا تَرِدُ هذه الملامحُ في النُّصوص فحسب، بل غالباً ما نراها مُجسَّدةً في الرسوم المرافقة للقصص، وهذا ما يشي بافتقارِ بعضِ رسّامي الأطفال إلى الوعي التّربويّ اللازم في أثناء الرَّسم للطِّفل.

حتّى الأطفال؟!

ولا ريبَ في أنّ أمثالَ تلك القصص قد تسلّلتْ إلى دواخلِ الأطفال ووجداناتهم، وفعلتْ فعلَها فيهم، وشكّلتْ جُزءاً من وعيهم وأفكارِهم ونظرتِهم إلى المرأة، ولعلَّ الملفتَ في هذا السِّياق أنّ بعضَ الأطفال الذينَ يكتبون القصصَ قد أمْسَوا ضحايا القصص التي كتبَها الكبارُ لهم، العربيّة منها والمترجمة، وضحايا التربية والعادات الاجتماعيّة السَّائدة في بيئاتهم، فكثيراً ما قرأتُ قصصاً كتبَها أطفالٌ للنَّشر في مجلة أسامة، أو للمشاركةِ في بعض المسابقات، قد وردتْ فيها صُورٌ سلبيةٌ للمرأة من تلك التي ذكرتُ.

كيفَ نُعالجُ ذلك؟

لن أخوضَ هنا في الدَّعوة إلى تعزيز مكانةِ المرأة، وما يتّصلُ بذلك من قضايا طالَ الحديثُ فيها على مستوى الدولة والمجتمع، لكنّ ما أودُّ التركيزَ عليه هو أنّ الأدبَ عامّةً يرسمُ صُورةَ الحياة بتَوهُّجٍ وتأثير، كما يرسمُ الصُّورةَ التي ينبغي أن تكونَ عليها الحياة، ويستخلصُ العِبرَ من الماضي، ويمنحُ الحاضرَ أبعاداً تدعو إلى تأمُّلِه ومعرفة الوجهةِ التي يسيرُ إليها، كما يستشرفُ المستقبلَ، ويحاولُ التَّنبُّؤَ بأحوالِه، ومن ثمّ فإنّ تأثيرَهُ عميقٌ جدّاً بوصفِهِ مُعلِّماً للإنسان، يُسهِمُ في تشكيل أفكارِهِ ورُؤاهُ ومُعتقداتِه، وكذلك أدبُ الأطفال الذي يَتميّزُ بخطورةِ دورِهِ، وأنّهُ مُوجَّهٌ إلى الأطفال، يلعبُ دوراً كبيراً في بناءِ شخصيةِ الطِّفل وتشكيلِ أفكارِهِ ونظرتِهِ إلى نفسِه، وإلى الآخرينَ من حولِه، وإلى الحياةِ عامّةً، لذلكَ أدعو جميعَ المُشتغلينَ في مجالِ أدب الأطفال إلى إعادةِ النَّظر في الكيفيّة التي يتمُّ عبرَها تَناوُل صورةِ المرأة في أدبهم، وإلى رسمِ صُورةٍ لها تليقُ بمكانتِها، فهيَ في الحقيقة المجتمعُ بأكمله، لا نِصفهُ كما كان يُقال، هيَ الجدّةُ والأمّ والأخت والزوجة والابنة، وهي صانعةُ الرِّجال ومُبدعةُ المجتمعات، وهي روحُ الحياة، وحسبُنا المرأةُ السُّورية مثالاً، فهيَ القويّةُ الصَّابرة، أمُّ الشَّهيد، وزوجة الشّهيد، وأخت الشّهيد، وابنة الشهيد، وعنوانُ البناء والصُّمود والتَّضحيةِ والنَّصر.



على درب أسامة مشيت.. وفي الحلم سكنت!!



البعث الأسبوعية .رامز حاج حسين

سقط فرخ سنونو من عشه ذات يوم في أرض الديار في منزل أهلي، فحملته وأعدته إلى عشه. كنت حينها مثله صغيراً غض العود. كنت أحمل كراسات الرسم الخاصة بي أجوب حواري مدينتي، سراقب، وأقول لكل أهلها، معلمين وأقرباء وجيران وأصدقاء: سوف أكبر لأرسم في مجلة (أسامة) مثل ممتاز البحرة. كانت رسوم البحرة - رحمه الله - تأسرني، تسرقني من أقراني، فأنزوي في غرفتي الساعات الطوال، وأنا أنقل وأقلد وأنقش خطوطه حتى حفظتها كما حفظت سورة الفاتحة، ونشيد بلدي، وخطوط يدي.

تدرجت في الدروب، وتشعبت بي الأحلام، وكبر فرخ السنونو وراح يحلق للبعيد، ويعود كل ربيع ليشكرني بحب وامتنان؛ وحين قررت الرحيل عن عشي الأثير لأمتهن الفن حلماً وطريقاً، كان ذاك السنونو يرافق الحافلة التي تقلني على طريق حلب دمشق الدولي، فيجاري بطيرانه سرعتها، ويوازي بنظراته نقرات أصابعي على شباك الحافلة، حتى وجدت نفسي على عتبة كلية الفنون الجميلة، ذات خريف مشبع بلون الغروب البرتقالي الذي أعشق، ومعبئ بكل ما في الشام من عطر وياسمين.. وللقدر، حين يُحسن عزف نوتة العطاء، نقرات لطيفة على أوتار قلب المحبين تجلت منذ الشهر الأول لدخولي الكلية؛ ولأني بين أقراني وزملائي في الفنون كنت عاشقاً متيماً بفن الرسم للأطفال، كانوا يتحدثون - هنا وهناك - عن رسومي لهم، حتى ذكرني أحدهم أمام أهم وأجمل الرسامين في مجلة أسامة، حينها، أستاذي في مادة الاتصالات البصرية، سرور علواني، فكان أن طلبني إلى لقائه في إحدى الحصص الخاصة به؛ وبعد أن اطلع على رسومي، دعاني إلى مرسمه، وفتح لي أبواب قلبه الكبير المعطاء مشرعة، وراح يعطيني من نصحه أجمله، ومن كتب الفن للأطفال أبدعها، ويواكب مشاريعي في الكلية خطوة بخطوة؛ ولما استيقن من موهبتي بعد شهرين من التمارين، قال لي: اصنع لي عملاً يليق بمجلة أسامة لأقدمك لرئيسة تحريرها.

كمن أعطي مفاتيح الجنان وكلمات السر الخاصة بألف مغارة للكنوز المسحورة، انطلقت بكلي وروحي وقلبي لأرسم وألون وأحلم وأكتب وأغني المواويل بالألوان، وحملت خلاصة تعبي بعد أسبوعين إلى مرسمه الخاص، ووقفت بين يديه كالتلميذ المحب المشفق المنتظر علامة النجاح.. يومها، علمني معنى الإغراق في الخصوصية والهوية المحلية، حين رمى لي في السلة البلاستيكية بأكثر من ٣٦ عملاً، وقلبي يقفز رعباً مع كل ورقة تُرمى.. راح يمسك الورقة تلو الأخرى، ويكورها بيده، ويرميها في السلة، حتى بقيت بين يده قصاصة صغيرة مرسوم عليها شكل فلاح قروي ريفي بـ «كلابية» مرقعة، وطاقية، وشوارب كثة.. أمسكها براحتيه، وقال: «هذا عمل يستحق التوقف عنده!». أمسك ورقة، وكتب عني لرئيسة تحرير مجلة أسامة، المرحومة دلال حاتم: «موهبة تستحق العناية وتستحق إعطاءها فرصة على صفحات أسامة الحبيبة»، وذيّل الورقة بتوقيعه!

اليوم التالي كان موعد العشق الأزلي المحفور في جيناتي، كيف لا، وغداً أدخل قصر ملوك الجان في خلدي، بوابة الحكاية وكهف الكنوز أرض أسامة؟! فكان اللقاء بهياً، وكان العطف والحنان والرعاية الكبيرة من الخبيرة المميزة التي أمسكت رسوم شخصيتي، وراحت تقلبها، وتسألني: «من هذا؟»، فأقول لها خجلاً: أبو حمدو، واسمه الحقيقي العم زعتر»، فتضحك ملء فمها حبوراً، وترن ضحكتها ملء ساحة النجمة، ثم تقول: «.. وهذا الأخرق الذي في جواره، من يكون؟!» فأتشجع، وأجيب، وقد ملكت الشجاعة من وهج ضحكتها السابقة: «إنه صديقه عجاج أبو نسمة، الحامل السلبي للعمل، والمعاكس في الأدوار لأبي حمدو»، فتعاود ساحة النجمة الرقص على وقع ضحكاتها.

مالت بقامتها الأدبية الكبيرة نحوي، وهمست: «وهل تستطيع أن تكمل بسيناريو مستمر من صفحتين كل شهر؟»، فقلت لها: «نعم أستطيع!».. من وسط دخان سيجارتها، نظرت نحوي بعمق، وقالت بتحد عميق: «.. وقد حجزت لأصغر رسام في المجلة صفحتين دائمتين حتى تتوقف عن إبهاري، يا صاحب أبي حمدو وعجاج».

انطلقت أمسك بيد أبي حمدو من طرف، وبيد عجاج من طرف، نراقص حجارة الأرصفة حجراً حجراً حتى باب كلية الفنون، وكان لتشجيع زملائي، ودعمهم، وبحثي دائماً عن طريقة لإبهارهم بأعمالي، الدور الكبير في ثباتي على المضي قدماً في هذه الطريق.. وبدأت من يومها رحلتي مع أسامة.. وفي الأيام اللاحقة، كان اللقاء الكبير مع ممتاز البحرة هو عنوان المرحلة الكبرى، حين جلست بينه وبين أستاذي، سرور، في حضرة دلال حاتم، وكان أن سألني، وهو يستعرض رسومي وخطوطي: «ما هو حلمك في هذا الطريق؟»، فأجبته بعفوية: «أنا.. لا حلم لدي بعد الآن!!».

اندهش الجميع من الجواب، وقال مستفسراً: «وكيف لا يكون لك حلم يا ولدي؟»، فأجبته: «كان حلمي أن ألقاكم، وأرسم في مجلة أسامة، وها أنذا بينكم الآن، وأرسم لمجلة أسامة مغامرات دورية متسلسلة»، فصفق بيديه، وقال لي مداعباً: «مثل أستاذك سرور، لا تقتصك حنكة الإجابات.. بكل حال، أتشرف بأني تعرفت على شاب طموح مثلك يعيش حلمه وقناعته في الحياة بهذه السكينة».. ومنذ تلك الحقبة الذهبية، وأنا وأبو حمدو، وعجاج، وكل رسومي لمجلة أسامة، نواظب على الزيارات المتكررة للمجلة لنترك فيها عملاً، ونأخذ منها الكثير من الأحلام، حتى تكلل الحلم برتبة أعلى من الشرف، يوم كُلفت من قبل الوزيرة الأستاذة لبانة مشوح - بطلب من الزميلة العزيزة، رئيسة تحرير المجلة، ريم محمود - بالإشراف الفني على المجلة الحبيبة والغالية، فباتت أسامة بيتي الثاني، مهوى فؤادي صباح كل يوم، بيت ألواني وأسراري، موطن العصف الذهني مع فريق المبدعين، ولقاء الأحبة لنصنع فرحاً سورياً خاصاً يليق بدروب هذه المجلة العريقة، ويليق بآمال وأحلام السادة السوريين الصغار، نرسم لوحة هنا، ونكتب قصة هناك، نذهب لنشارك أطفالاً فرحهم في هذه المدرسة، ونرسم ابتسامة على وجوههم في مكان آخر، ننتمي للأرض، للبيوت السورية على امتداد جغرافية الوطن، نحمل أنا ورئيس تحريرها، قحطان بيرقدار، الشاعر الجميل الرقيق، أحلام وهموم الفريق الصغير الذي ننتمي إليه، وأحلام الأهل من كتاب ورسامين، وننطلق بها في كل محفل ومنبر للطفولة، ونبث هموماً هنا وأحلاماً هناك، والهاجس الأول والأخير أن تبقى مجلة أسامة محافظة على رونق وألق لمسات الرعيل الأول المؤسس.

على درب الحلم مشيت! في أرض الحلم سكنت! وأين تفضي بي الدروب بعد هذه المرحلة.. لا أكترث!! لأني مازلت ذاك الطفل الذي حلم يوماً أن يرسم لمجلته الحبيبة لوحة صغيرة، فأصبح اليوم جزءاً من كينونة الجمال مع زملاء كثر فيها. واليوم، حين يأتي الربيع محملاً بقوافل السنونو في سماء دمشق، أبحث عن رفيق خطواتي، وعندما لا أجده أبتسم، وأقول: «أنت واحد من بين آلاف الطيور الجميلة، وحلمي مؤمن بين ريشاتك، فاخفق، وحلّق أنّى شئت، مادام للأمل حضور في قلبنا!

ميديا البعث

موقع الكتروني سوري اخباري شامل

albaathmedia.sy

t.me/albaathmedia1

baathnewsnetwork

+963931693606

B TV

تلفزيون البعث عبر الانترنت

albaathmedia.sy

+963931693606

btv.syria

t.me/albaathmedia1